

MAJALLAH

ALBAAS-EL-ISLAMI

(MONTHLY)

APRIL - 1992



البعث

إسلامية عربية نصف شهرية

تصدر من (مؤسسة الصحافة والنشر) بندوة العلامة

الرئيس العام : محمد الرابع الحسني الندوى

نائب الرئيس : سعيد الأعظمي الندوى

رئيس التحرير : واضح رشيد الندوى

مدير التحرير : عبد الله محمد الحسني الندوى

الاشتراك السنوية :

في الهند

— ٧٥ روبيه

— ٢٥ دولاراً

في الخارج بالبريد الجوى

العنوان :

ادارة الرائد ، ندوة العلامة ص. ب ٩٣ - لكناو (الهند)

قام بالنشر و التوزيع جميل أحمد الندوى مؤسسة الصحافة و النشر ندوة العلامة
رئيس التحرير : سعيد الأعظمي



البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية

العدد الثالث - المجلد ٢٧
ذو القعدة ١٤١٢ - مايو ١٩٩٢م

تصَدرها:

مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء ص. ب ٩٣ لكناو الهند

إلى إخواننا القراء الكرام



بسم الله الرحمن الرحيم

أنساما:

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله
في ١٩٥٥ م ١٢٧٥ هـ

البعث الإسلامي

رئاسة التحرير:

سعيد الأعظمي الندوبي

واضع رشيد الندوبي

العدد الثالث - المجلد السابع والثلاثون
ذوالقعدة ١٤١٢ هـ - مايو ١٩٩٢ م

الراسلات:

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٢ لكانو - الهند

ALBASS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama
P.O. Box 93, Lucknow(INDIA)

الاشتراك السنوية:

★ في الهند: مأة روبيه

ثمن النسخة عشر روبيات:

★ في العالم العربي وفي جميع
دول العالم.

٢٠ دولاراً بالبريد السطحي.

٣٦ دولاراً بالبريد الجوي.

عنوان المراسلات:

مكتب البعث الإسلامي ،

(مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء ص. ب ٩٣

لكانو (الهند)

ALBAAS - EL - ISLAMI

C/o. NADWAT UL ULAMA

P. O. Box : No. 93.

Lucknow. (INDIA)

★ المجلة غير ملتزمة

بكل فكر ينشر فيها.

إن مجلتك ، البعث الإسلامي ، تجتاز
الآن عامها السابع والثلاثين ،
و ذلك بتوفيق الله تعالى وحده ، فحمد الله
تعالى على ما أكرمناه من الاستمرار في خدمة
البعث الإسلامي ، وندعوه أن يؤيدنا بالاستقامة
و الثبات و الصمود على هذه الجبهة الدقيقة في
في الظروف القاسية التي تجتازها الأمة الإسلامية
ويعرض لها المسلمين في كل مكان ، نحو دينهم
و شريعتهم و رسالتهم العالمية .

و بمجرد توفيق الله و مشيته استطعنا أن
ندخل بعض التحسينات المطبعية في المجلة كايراها
و يسر بها القاريء الكريم ، و لا يخفى عليكم
أن تكلفة المجلة قد تضاعفت بخلاف أسعار الورق
و الطباعة و أجور العمال ، فنرجو أن يتكرم
كل أخ كريم يبذل محموداته في سبيل دعم المجلة
و توسيع نطاق المشتركين الجدد فيها ، ويساطرنا
في أداء بعض الواجب الذي تحمله الآن .

و على ذلك قررنا زيادة في قيمة
الاشتراك ، رجاءً أن تكون في صالح المجلة .
والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الافتتاحية :

اصلاح المجتمع وتنمية المرأة !

المجتمع البشري باختلاف أنواعه وتعدد أحجامه لم يكن قط في غنى عن العناصر التي تتولى التزامه بالخط الذي يوديه إلى السعادة ، وإن كانت النظارات الإنسانية تختلف في تفسير هذه السعادة ، ولكنها كانت تتفق في البحث عن الوسائل التي توفر الأمن والاستقرار للحياة و المجتمع ، و تقضي على جميع العوامل والمحاولات المضادة التي تهدد المجتمع بالانذياط وتقيمه على شفا حفرة من النار والدمار، كما كان الشأن في المجتمعات الجاهلية التي وجدت قبل الإسلام وتنازلت عن جميع القيم الخلقيه فعاشت أسوأ وضع إنساني عرف التاريخ ، حتى إن كتاب الله تعالى لفت انتباه الناس إلى ذلك الوضع الأسيف الذي عاشه الإنسان الجاهلي ، وأهدر فيه جميع الالتزامات الخلقيه والكرامات الإنسانية ، كأنه واقف على شفا حفرة من الهلاك المحتموم ، لقد صور الله تعالى ذلك الوضع المخيف بقوله : « وَكُنْتُمْ عَلَى شِفَاهِ حَفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذْتُمْكُمْ مِّنْهَا » .
ولا شك في أن الإسلام مثل دوراً رياضياً عالياً في العودة بالانسان إلى منصب الطبيعي ، وإنقاذه من بورة ذلك الفساد الشامل الذي استولى على المجتمع بصورة فظيعة جداً ، إنه استعرض

في نبذة المحتوى

الافتتاحية :

إصلاح المجتمع وتنمية المرأة

التوجيه الإسلامي :

هاتي صلاح الدين ثانية فينا

الدعوة الإسلامية :

افتتحات إسلامية

كلوا و اشربوا و لا تسرعوا

دراسات وأبحاث :

العلاقة بين العصارة والديانة

الجانب التاريخي لروايات جرجي زيدان

فن الترجمة

كتاب الأنوار و صاحبه

الثقافة الإسلامية في الهند:

المحدثون العظام

المسلمون في الهند:

نظرة عامة على أوضاع سامي الهند منذ الاستقلال

درس وعبر من خلال رحلات العام د العمل

صور وأوضاع :

قبل أن تضيع الفرصة للدعوة

قراءة في كتاب :

التربية والمجتمع

إلى رحمة الله :

محمد بن العباس العلامة هبوب الرحمن الأعظمي

في ذمة الله

سعید الأعظمی

سامحة الشیعی السید أبي الحسن

علي الحسني الندوی

الدكتور أنيس أحمد

الدكتور أحمد عبد الرحيم السابع

د / محمد بن سعد الشويع

د / توفيق محمد شاهين

د / أفتخر سعيد الصديقي

الأستاذ منظور أحمد فان

الأستاذ هبيب الله فان

فضيلة الشیعی عبد الرحيم النعماي

د / محمد يونس نعراوي الندوی

د / ظفر الإسلام فان

د / محمد لقمان الأعظمي الندوی

واضع رشيد الندوی

سامحة الشیعی السید أبي الحسن

علي الحسني الندوی

قام التحریر

إصلاح المجتمع وتنمية المرأة

يقيه من الهبوط ، والفساد ، والعبث بالقيم والثلال العليا ، ومن الارتداد إلى أسفل سافلين ، وتمثل في المجتمع البشري نتيجة لذلك أنواع كثيرة من الطفيان والبغى والجرى وراء الشهوات ، وإيثار النفع العاجل على الأجل ، والتركيز على كسب الدنيا وحطامها الزائل ؛ فاما من طفي وأثر الحياة الدنيا ، فإن الجحيم هي المأوى ؛

مجتمعنا الذي نعيش فيه اليوم يفقد كثيراً من الخصائص والقيم الخلقة التي تفضل الإسلام بعطائها للناس ، ورفع به معنوية المسلم ومنحه به مركزه في الحياة والمجتمع ، فقد ظهرت عوامل الفساد على أوسع نطاق ، في كل مكان ، وقفزت إلى المجتمع الإسلامي ظواهر حضارية مادية خالصة أخذت بتلابيب كل فرد وشغلته عن منصبه ومركزه الطبيعي ، فلم يعد يهتم إلا بنفسه وبمصالحه الشخصية والعائلية المحدودة ، بالانصراف عن المصلحة الدينية والاجتماعية الكبرى ، وإهمال المتطلبات الاجتماعية العامة التي وجه إليها الإسلام ودعا أتباعه إلى التمسك بها وتنفيذها في الحياة الاجتماعية .

ركزت تعاليم الإسلام على بيان الأحكام الاجتماعية والعائلية بغایة من الدقة والأهمية ، ذاك أن الإنسان في حياته الفردية والجماعية لفي أشد حاجة إلى التوجيه الصحيح والسلوك النبيل ، وإلى حسنظن و التعامل به ، وتطهير القلب ولسان عن الأدواء الخلقة والنفسية ، والتبيين في الأمور ، اقرأوا الآيات التالية :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنِيَّ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تَصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتَصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخُرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا الْجَمْعُ إِلَى الْحَضْيَضِ ، وَلَمْ يَعْدْ هُنَّا ذَلِكَ الْوَازِعُ الْدِينِيُّ الَّذِي

الحياة البشرية يوم ذاك ، ونزل إلى أغوارها يفتشر عن الأدواء التي اختبرت بالطبائع ودخلت فيها ، بحيث أصبح من الصعب أن تنفك عنها ، ومن هنالك جاءت تعاليم الإسلام الخالدة التي تناولت جميع جوانب الحياة البشرية دقيقة وجليلة فردية وجماعية ، وبيّنت ما فيها من أهمية وما لها من دور في أداء وظيفة الإنسان على وجهها الصحيح في هذا الكون ، وفي ربط علاقته بالله تعالى وبالإنسان نفس ، حتى تنزع الحياة عن جميع الملابسات غير الشرعية ، وعن جميع العوامل الموقلة التي تتلاعب بمصيرها ومستقبلها في الدنيا وبعاقبتها في الآخرة .

إن الإسلام أنقذ جميع طاقات الإنسان والكون من التردي والهبوط ووجهها إلى وجهتها الأصلية ووضعها في محلها الخاص الذي خلق لها ، فأقبل الرسول الكريم ﷺ أول ما أقبل على هذه المهمة ، وعالج الإنسان الغافل بتوجيهه إلى الهدف وبيان أهمية الدور المطلوب منه ، وتناوله بالتزمكي الشاملة ، تزكية القلب واللسان والجوارح كلها لكي تتتحقق ملته بخالقه تبارك وتعالى وبالخلق ، وبالكائنات كلها ، مما يساعد على النهوض بواجبه في الحياة الدنيا ، وتقديم أعمال صالحة للدار الآخرة ، وكل ذلك في ضوء تعاليم الإسلام وتوجيهاته العلوية الربانية التي تتفق وطبيعته وتنسجم مع الفطرة ؛ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعليمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ؛

وكما انحلت قبضة المسم عن هذه التوجيهات الحيوية وانصرفت همته إلى هوماش الأمور ، تربصت به دوائر الفلال المبين ، ولعبت به الأهواء والعوامل النفسية ، واتجهت الحياة وبالتالي المجتمع إلى الحضيض ، ولم يعود هناك ذلك الوازع الديني الذي

تابزوا بالألقاب » « يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ، إن بعض الظن إثم ، ولا تجسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً ، أیحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهته » .

وهناك آيات كثيرة وأحكام تناولها الكتاب والسنة في هذا الموضوع بشيء من الوضوح والتاكيد والاهتمام ، نستطيع أن نقدر بها مدى عناية الإسلام بتطهير الحياة الاجتماعية من جميع الأدواء الخلقي ، وبنائها على أساس من العدل والنزاهة والنصاح والتعاون والتعاطف ، والحب والإيثار والشقة وحسن الظن ، وعلى هذه المواقف قام المجتمع الإسلامي الأول ، ومثل على مسرح الحياة والمجتمع دوراً سجلاً التاريخ الإنساني بمداد من النور .

حاجتنا إلى إصلاح المجتمع الحديث الذي نعيش فيه ، أكيدة شديدة ، وإن العامل الأقوى الذي يوثر في هذا الإصلاح هو أن يتظاهر كبار هذه الأمة بالأخلاق الإسلامية ويقدموا القدوة المثالية أمام الجماهير من كل طبقة ، حتى يقبلوا عليهم ويتأسوا بأسوتهم ، ويتبعوا خطفهم ، ولعل ذلك هو الطريق الأمثل لإصلاح المجتمع ، وذلك يعني أن نبدأ بالتغيير ، من أنفسنا ، ثم ندعه إلى غيرنا .

كما أن دور المرأة في إصلاح المجتمع وبنائه على أساس سليمة ، دور ريادي أصيل ، لذلك فإن الإسلام ركز على توعية المرأة بمسؤوليتها وإشعارها بالدور المهم الذي قدره الله لها في توجيه المجتمع وتنشئة أفراده من المحسن إلى منصة العلم والمعرفة ، وقد جمع الله تعالى بينهما في جميع الشئون الدعوية والحيوية ، واعتبر كلاً منها عضواً موالياً للآخر: « المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله » و سوى بينهما في المسؤولية العملية وفي علاقتها بالله والناس فقال: « ومن يعمل من

إصلاح المجتمع وتوعية المرأة

الصالحتين من ذكر وأنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة وإن يظلمون نقيراً » « فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض » .

وبينما كانت المجتمعات المادية السابقة أهملت المرأة وجعلتها بمنزلة البهائم والدواه ، إذا بالمجتمعات المادية الحديثة تمثل المرأة كسلعة تجارية رخيصة ، وتعتبرها لافتاً لجميع الأغراءات النفسية والدعایات الخبيثة ، فتعرضها في الجميع المختلطة والنواحي الليلية تبع عرضها وحياءها وماء وجهها بشمن نجس دراهم خبيثة .

ولكن طريق الإسلام في تحلية المرأة بالعلم والدين واعتبارها العضو العامل في بناء المجتمع ورفعه على أساس سلامة قوية من الإيمان والأخلاق والعلم والفضائل ، طريق وسط متزن ، إنه يعتبرها نصف المجتمع ، ويعاملها كما يعامل الرجل ، ويفوض إليها مسئولية التربية والتوجيه للأولاد وأفراد العائلة من داخل أسوار البيوت ومن وراء الحجاب ، لكي يتكون بفضل تربيتها الحكيم - باذن من الله تعالى - ذلك الإشعاع التربوي الوهاج الذي يصل من وراء الأسوار والحجاب إلى المجتمع الإنساني مباشرة ، ويؤثر تأثيراً فعالاً عميقاً على تزويد الرجال العاملين والأبطال المغامرين ، والأفراد الصالحين من الذكور والإإناث .

إنه واقع جربه التاريخ وعاشه في فتراته الإسلامية ، فقد احتضن في غضونه المشرق نماذج رائعة لأولئك السيدات النابغات اللائي سجلن صفحات مجيدة ومحاذير عظيمة في تاريخ الإنسان وأسهمن في تربية الأجيال وتخريج الرجال ، وبناء المجتمعات بدور عظيم مشكور .

وزع الإسلام مسؤولية بناء المجتمع على أسس سليمة بين الرجل والمرأة على السواء ، هذا في مجال الكسب والمعاش وفيما يتعلق بخارج البيوت والعائلات ، وتلك في حدود التربية للأولاد وتنظيم الأسرة ورفعها على أساس الدين والأخلاق ، يقول الرسول ﷺ « كل راع وكلم مسؤول عن رعيته ، فالرجل راع وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها » .

ومسؤولية توعية المرأة وتربيتها على أساس العلم والأخلاق تعود إلى الرجال العاملين ، ولقد تضاعفت هذه المسؤولية في عصرنا الحديث لتوافر الأوضاع المعاكسة في مجتمعات المسلمين وجود ثغرات هائلة في جدرانها المتزعزة ، ولأن المرأة أصبحت في جهل تام عن مسؤوليتها الأصلية وشغلت بأمور ليست من شأنها ولا وظيفتها .

ولعل لفترة خالصة من علامتنا ودعائنا ومفكرينا نحو توعية المرأة بالتعليم والتربيـة وتزوـيدـها بـوسـائلـ العملـ والتـأثـيرـ ، تفتحـ علىـ بنـاتـناـ الـيـومـ وأـمـهـاتـ الـفـدـ ، وـمـرـبـيـاتـ الـجـيلـ النـاهـضـ ، وـصـانـعـاتـ الـأـسـرـ السـعـيـدةـ وـبـانـيـاتـ الـجـمـعـاتـ فـيـ الـمـسـتـقـلـ ، أـبـواـبـ وـاسـعـةـ لـمـزـيدـ مـنـ الـأـمـلـ وـالـعـلـمـ ، وـتـؤـهـلـهـنـ لـازـالـةـ كـلـ فـسـادـ مـنـ الـجـمـعـ الإـسـلـامـيـ ، وـتـوـجـيهـهـ إـلـىـ الـوـجـهـ الـطـبـعـيـ الـتـيـ تـتـكـفـلـ لـهـ بـالـسـيـرـ عـلـىـ درـبـ السـعـادـ الدـائـمـ ، وـمـارـهـاـ الـمـطـلـوبـ الـعـلـومـ ، وـبـذـلـكـ فـانـ هـنـاـ العـنـصـرـ النـسـويـ سـيـنـهـضـ بـوـاجـبـ الـطـبـعـيـ فـيـ مـجـالـ التـرـبـيـةـ وـالتـوـجـيهـ وـتـنـطـلـقـ الـمـجـهـودـاتـ إـلـىـ بـنـاءـ مـجـتمـعـ أـفـضلـ وـأـسـعـدـ بـمـئـيـةـ اللـهـ تـعـالـىـ . وـالـلـهـ مـنـ وـرـاءـ الـقـدـرـ وـهـوـ يـهـدـيـ السـبـيلـ ..

سعيد الأعظمي

التنمية الإسلامي

هاتي صلاح الدين ثانية فينا

إسلامية عريقة في القدم ، كيف لا تقتضي حكمة الله أن تختار من بين العرب ومن بين المسلمين صلاح الدين الأيوبي الثاني ، انتي أخاطب الأمة العربية بلسان خير الدين الزركلي الشاعر العربي ان الحل الوحيد لقضية فلسطين أن يبرز صلاح الدين على مسرح القضية الفلسطينية ، وعلى مسرح الجهاد الإسلامي مرة ثانية ، يقول الزركلي :

هاتي صلاح الدين ثانية فينا
و جددي حطين أو شبه حطينا

هاتي صلاح الدين - أيتها الأمة العربية المسلمة - ثانية فينا ، و جددي حطين أو شبه حطينا .

ماذا كان سر انتصار صلاح الدين الأيوبي الانتصار الباهر الذي حير العالم وغير مجرى التاريخ ؟ إنما السر أنه كان مسلماً مؤمناً مهدياً لا يعرف غير لغة القرآن ، ولا يعرف غير لغة الإيمان ، ولا يعرف غير لغة الحنان ، وال المسلمين ما زالوا لا يزالون ، اكتبوا عني أيها الكتاب بقلم عريض ، وسجلوه ، أيها المستمعون الكرام ان المسلمين إلى هذا الوقت وان كانت المادية الرعناء والتربية العصرية قد فعلتا فعلتهما فهم لا يفهمون غير لغة القرآن ، إن المسلمين في مشارق الأرض وغاربها ، مهما تعددت لغاتهم ، ومهما فاق ذكاهم ، ومهما فاقت معيتهم وعمر قريتهم إلى الآن لا يفهمون إلا لغة محمد عليه الصلاة والسلام الذي آمنوا به كالنبي الخالد ، وكرأفع علم الجهاد المقدس ، إنهم لا يفهمون غير لغة القرآن مما أقحمت عليهم اللغات ، ومما فرضت عليهم الثقافات ، ومما تنوّعت في بلادهم الحضارات . إنهم لا يفهمون ، ولن يفهموا ، وإلى أن يرث الله هذه الأرض ومن عليها لا يفهمون إلا لغة القرآن ، خاطبوا المسلمين بلغة القرآن أيها الأخوان لا بلغة السياسة ، أثيروا فيهم الحنان ، والإيمان ، بكلمة الجهاد ، بكلمة الحنين إلى الشهادة ، إنهم لا يزالون يحسنون فهم هذه اللغة ، إنما كان سر سيطرة صلاح الدين على القلوب والأرواح ، في أنه فهم هذا السر ، وفطن لهذه النكتة أن المسلمين لا يندفعون إلا بداعي الجهاد ، فجمع تحت رايته اليمانية أشتاتا من القيادات ، وضروبا وأنواعا من الشعوب الإسلامية ، يستغرب الأوربيون الغربيون ، كيف استطاع صلاح الدين الأيوبي أن يوحد كلمة العالم الإسلامي الممزق المتشتت ، المنقسم على نفسه ، وكيف استطاع أن

هاتي صلاح الدين ثانية فينا

ساحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوبي

كلة كان ارتجلها ساحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوبي في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي نيابة عن أعضاء المجلس بمناسبة حضور السيد ياسر عرفات زعيم حركة فتح لتحرير فلسطين . يبدى فيها مشاعر المسلمين إزاء قضية فلسطين ، وخاصة مسلمي الهند الذين يتبعون دائماً القضايا الإسلامية حيثما كانت وأينما كانت . ويستعدون لأي تضحية في ذلك السبيل . أكد فيها ساحة العلامة الندوبي على جعل القضية قضية إسلامية ، واتباع النهج الإسلامي لحلها . وبيناسبة زيارة فضيلة الشيخ محمد صيام إمام المسجد الأقصى المبارك سابقاً ، وأحد زعماء الانتفاضة الإسلامية لندوة العلماء أعيدت هذه الكلة المسجلة مدورة في مجلد في حفل اقيم للترحيب به في ساحة ندوة العلماء بين المجمع الإسلامي العلي والكتبة العامة . واقامت هذا الحفل رابطة الأدب الإسلامي في

١٧ / فبراير ١٩٩٢م

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصبه
أجمعين . أما بعد :

فلى الشرف العظيم أن أتكلم باسم هذا المجلس المؤقر في مثل هذا الموقف الدقيق الحساس باسم المسلمين جميعاً في مشارق الأرض وغاربها ، وبأسم مآتم الملايين في شبه القارة الهندية ، وهذا إن دل على شيء ، فانما يدل على عالمية القضية الفلسطينية وإنسانيتها وإسلاميتها . إنني في هذه الساعة المتأخرة من الليل لا أريد أن أطيل وأن أشوق عليكم ، إنما اقتصر على دعاء في هذه الساعة المباركة الميمونة ، وفي رحاب البيت ، أقتصر على دعاء واحد ، وأرجو الله أن يتقبل هذا الدعاء في هذه الساعة المباركة في ليلة الجمعة المباركة ، وهو أن يقيض الله لفلسطين ، بل لل المسلمين جميعاً ، بل للإسلام صلاح الدين الأيوبي الثاني ، وإذا كانت حكمة الله تبارك وتعالى اقتضت أن تختار من بين الأكراد ، كرد يا يتوارى نسبة بعد ثلاثة أو أربع وسائل في ظلمات الجاهلية ، وقد أسلم آباء قرباً ، فلم يكن عريقاً في الإسلام . فكيف لا تقتضي حكمة الله ورحمته أن تختار عربياً ينحدر من أصول عربية

يجمع هذا العالم المترامي الذي تعدد عناصره، وتعدد ثقافاته وتعدد مذاهبه الفقهية، كيف استطاع أن يوحد العالم الإسلامي في هذه الفترة الحالكة العصيبة تحت راية محمد عليه الصلاة والسلام، ذلك فقط، لأن رفع راية محمد لم يرفع راية القومية العربية، اسمحوا لي أن أقول: أنا هندي الأصل، أنا هندي الثقافة، أنا رجل ولدت ونشأت في الهند، ولكن أؤمن بمحمد عليه الصلاة والسلام، وأؤمن بالقرآن، إن هنالك قلوبًا تُعد بالملائين، تهفو وتصبو إليكم، ويستهين في سبلكم بأجسامها وحياتها وسلامتها، إن مذبحة كبيرة وقعت في الهند في أحمد آباد في مدة قريبة، وماذا كان السبب؟ ذلك لأجل التجمع الإسلامي الكبير الذي حصل تاييداً لقضية فلسطين، إنما وقعت هذه المجزرة، ووقع هذا الاضطراب الطائفي الهائل لأن المسلمين في أحد آباد تجمعوا على بعد الدار وحيلولة البحار، وعدم معرفتهم للغة العرب، تجمعوا هذا التجمع الخالد التاريخي ليدافعوا عن قضية فلسطين، وذلك برهان ساطع على أن هنالك قلوبًا مخلصة لا يعرف مدى أخلاصها إلا الله تبارك وتعالى، قلوب مؤمنة صادقة، لا تعرف لغة السياسة، ولا تعرف اللباقة، إنما تعرف الإيمان، إنما تعرف الحنان، إنما تعرف لغة القرآن، فأنت تملكون ثروة لا تملكون أمريكا، ولا تملكون روسيا، تلك ثروة الإيمان، تلك ثروة الإيمان الدافق.. تلك قوة الإيمان التي استطاعت أن تظهر العالم الإسلامي كله، وتكون حضارة، وتكون دولة من أكبر الدول والامبراطوريات، وهي تستطيع والحمد لله في هذا الوقت، أقول هذا في رحاب البيت العتيق، إن هذه الثروة موجودة، ولكنها تحتاج إلى إثارة، تحتاج إلى تحريك، تحريك صادق مؤمن.

وفيكم الأمل، إنني أرجو الله أن يستخدمكم في سبيل هذه القضية، وأن يجعل منكم صلاح الدين الأيوبي الآخر، الآخر، وليس الأخير، والإسلام كمثل غيث لا يدرى أوله خير أم آخره كماجاء في الحديث النبوي الشريف وإنني أقول لك أيها الأخ الكريم أيها الزعيم، أنا أتبرك بتراب نعل الفرس في ساحة الجهاد، وأفضله على العبير، وعلى كثير من العطور، إنني أقول لكم اذكروا قول الله تبارك وتعالى: «ولا تهنوا في ابتلاء القوم، إن تكونوا تأمون، فإنهم يالمون كما تأمون، وترجون من الله ما لا يرجون» هذه ميزتكم، اليهود فقدوا كل شيء، وقطعوا كل خيط كان يربطهم بالله وبالصحف السماوية، أصجووا شعباً مادياً بحتاً، لا يعنون إلا

هاتي صلاح الدين ثانية فينا

بسيطرتهم على العالم، ليست امامهم غابة نبيلة ولا غير نبيلة، إنما هو شعب عنصري يؤمن بالعنصرية.. والله تبارك وتعالى لا ينظر إلى العنصرية، إن الله لا ينظر إلى وجوهكم و أجسادكم، إنه ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، فأنت تملكون ولا تزالون تملكون هذه الثروة، وترجون من الله ما لا يرجون، استمدوا هذه القوة وأثرواها هذا الدفين الكامن، هذا الكنز الخفي المطمور الذي لا يزال في صدور زملائكم، إنكم - كمسلمين مجاهدين - ترجون من الله ما لا يرجو اليهود، فلماذا تهنو، والله يقول: «ولَا تهنو و لا تحزنوا و أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين»، هذه الكلمة أخ لكم في الله، أخ لكم في الدين، لا يربطه بكم إلا الخيط الإيماني الرباني النوراني، الذي انبعث من هذا البلد، ولا يزال لاماً، ولا يزال بازغاً، ولا يزال منيراً للقلوب والنفوس، يبدد الظلمات، ظلمات الجاهلية، ظلمات المادية والظلمات الأمريكية، والظلمات السوفيتية، إننا نحن المسلمين - والحمد لله - أغنى من كل أمة، وأقوى من كل أمة، وتاريخنا طاهر، وتاريخنا نزيه، لم تتلوث أيدينا بالدماء البريئة أبداً فكن على ثقة أيها الأخ الكريم، أيها المناضل، إن وراءك جيشاً عرماً من المسلمين، من القلوب المؤمنة، من الأرواح السعيدة، من الذين يستهينون بحياتهم، ويستهينون بكرامتهم في سبيل الله، فهل جربتموه؟ لا، والله إلى الآن لم يسعن لكم أن تجربواهم، لا تزال هذه الأرض بكرة، ولا تزال هذه التجربة جديدة، جرب أيها الأخ هذه الأمة التي ملأت العالم كله، وهي وراءكم وأمامكم إن شاء الله، تأخذون منها ما هو أغلى، وأعلى، وأثمن، وأعز من كل سلاح تأخذونه من أي قوة كبيرة.

هذه كلمتي، وأنا قد أسلبت فيها واسترسلت أكثر مما قدرت، وما زورت الكلام وما ادخرت، ولكن هو الدافع الإيماني، العرق العربي الإسلامي الذي ينبض، ويثير والذى يملك على مشاعرى، الذى يدفعنى إلى أن أقول هذه الكلمة المرتجلة، واتركها مدوية مجلجة في رحاب العالم كله، وتقبلوا مني أطيب التحيات، واصدق التمنيات.

مكانة الأخلاق والمجتمع والقانون في كيان إسلامي

الجدول = ١

التجريم وفق الجنس، ١٩٨٠ م - ١٩٨٤ م

		محكمة المديرية				الجناية			
		الذكر	الانثى	المجموع	الذكر	الانثى	المجموع	الذكر	الانثى
١٠١	٢٠	(٧٠)٧١	٢٦٩	١١٤	(٥٦)١٤٥	(٢) ١٠	(٢) ١٠	الزنا بالرضي	
٥٩	.	(١٠٠)٥٩	١٦٥	٢	(٩٩)١٦٢	(٢) ١٠	(٢) ١٠	الزنا بالجبر	
٢٠	٢	(٩٢)٢٨	١٢٢	٤	(٩٧)١٢٨	١١	١١	الاختطاف	
١٢	.	(١٠٠)١٢	٧٨	١١	(٨٦)٦٧	١٦	١٦	الاغراء	
٢٨	٢	(٩٥)٢٦	٦٢	.	(١٠٠)٦٢	١٨	١٨	محاولة الاغتصاب	
١٧	.	(١٠٠)١٧	٤١	.	(١٠٠)٤١	١٢	١٢	اللواء	
٥	٢	(٦٠)٢	٢٢	٢	(٩١)٢٠	١٤	١٤	المؤامرة للتورط في البغاء	
٢	.	(١٠٠)٢	٩	٢	(٧٨)٧	١٩	١٩	الاغراء بجناية الزنا	
.	.	.	٩	٤	(٥٦)٥	٥	٥	الزنا القابل للحد	
.	.	.	١	.	(١٠٠)١	١٥	١٥	زواج الغش والخداع	
٢٦٦	٢٦	(٨٦)٢٢٠	٧٧٨	١٢٩	(٨٢)٦٢٩				
١١٥	٢	(٩٨)١١٢	١٦٨	٩	(٩٥)١٥٩				
٢٨١	٢٨	(٩٠)٢٤٢	٩٤٦	١٤٨	(٨٤)٧٩٨	٣	٣	الجموع	

المصدر: تشارلس كندي «تنفيذ الحدود في باكستان» الدراسات الإسلامية
المجلد: ٢٦ - العدد: ٤ - ص: ٢١٥.

الملاحظة: الأعداد بين الهمالين: () تشير إلى النسبة المئوية المناسبة.
هذه المعلومات تشير إلى أن ٩٠٪ من التجريم التي رفعت إلى محكمة

مكانة الأخلاق والمجتمع والقانون في كيان إسلامي

بقلم: الدكتور أنيس أحمد

البروفيسور ورئيس قسم العلوم المتزنة الإسلامية والتراث

الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا

تعریف: الأستاذ آفتاح عالم التدوی

قبل أن نخوض في تفاصيل أكثر من ذلك حول «الحق الإنساني» المعروف بمزاولة الزنا يتحتم علينا أن نثبت الدعوى القائلة بأن تشريع قانون العقوبات يحمل التفرقة والتمييز ضد النساء، فتشير دراسة علمية حديثة قام بها باحث غير إسلامي إلى أن فرض قانون الحدود إنما يحمل تفرقة جنسية معندة ضد الرجال (١).

هذه الدراسة توفر - بجانب ذلك - معلومات احصائية موثوقة دقيقة تبني على نموذج عشوائي لستة وعشرين وأربع مائة قضية اختيرت من مجموع ١٩٢٥ قضية، تم قضاها في محكمة الشريعة الفدرالية، والمعلومات تكشف أن قانون الحدود ذهب كل مذهب في ضياع النساء، وليس في إزعاجهن والاحتياط والتمييز ضدهن، كما أنها تعدد مقارنة بين المواقف التي اتخذتها محكمة «الدورة» و«المديرية» التي تقوم على أساس القانون العام وبين المواقف التي تبنتها محكمة الشريعة الفدرالية التي تلتزم بالقضاء وفق الشريعة.

تشير المعلومات المتوفرة التي اقتبست من الأقضية القانونية الباكستانية لمحكمة الشريعة الفدرالية أن محكمة «الدورة» و«المديرية» جرمت واتهمت كثيراً من النساء وفق القانون العام، بينما ظهرت براءتهن عند ما تم استخدام القانون الشرعي الإسلامي بمحكمة الشريعة الفدرالية.

(١) تشارلس كندي «تنفيذ قانون الحدود في باكستان» الدراسات الإسلامية المجلد: ٢٦ - العدد: ٤ - ص: ٢١٤.

مكانة الأخلاق والمجتمع والقانون في كيان إسلامي

الاغراء بجناية الزنا						
المجموع						
نسبة المئوية						
٢	١	١	٧	٢	٤	
١٠٥	٩٦	٢٥٩	٦٢	٢٩٧		
%١٠٠	%٩١	%١٠٠	%١٧	%٨٢		

شارلز كندي "تنفيذ قانون الحدود في باكستان" دراسات إسلامية ٢٦ العدد ٤ ص ٢١٥ .

اللاحظة : الأعداد بين الھاللين تشير إلى النسبة المئوية المناسبة.

إذ نظرنا بغاية من الدقة والبعد في معلومات ١٩٨٢م إلى ١٩٨٩م ولا سيما في المعلومات التي تتعلق بقضايا الزنا وجدنا أن ٢٤٢٢ قضية من مجموع ٢٥٢٧ قضية تمت معالجتها في محكمة الشريعة الفدرالية، وكانت ٥٨٢ قضية منها تتصل باقتراف النساء للزنا، لكن ٤١٢ امرأة منها ظهرت براءتهن ولم يثبت التجريم إلا لأحدى وخمسين ومائة امرأة، ولم توج قضية ما ترجم بوفيقها المرأة أو يجري عليها الحد (مائة جلدة).

إذا كان هناك شيء يشبه الدراسة التجريبية الموضوعية فإنه يبرهن على فراغ وبطلان الدعوى القائلة بأن تنفيذ قانون الشريعة احتال على النساء أو مارس التمييز والانحصار ضدهن، كما ادعت بذلك أنيتاوس والآخرون (١).

واليكم فيما يلى جدول يبحث في تنظيم قضيائنا النساء عاما بعد عام.

الجدول = ٣

قضايا الزنا العالجة بمحكمة الشريعة الفدرالية ١٩٨٢م ديسمبر ١٩٨٩م						
السنة	مجموع قضيائنا	الزناء المقدمة	العنف المترافق	الاتهام	النساء	النساء
قضيائنا	الزناء	الاتهام	العنف المترافق	الاتهام	النساء	البريات
.	٢٨	١٢	٥٠	٢٨٧	٢٨٧	١٩٨٢
.	٥٠	١٥	٦٥	٢٩٤	٢٩٤	١٩٨٢
.	٥٤	٢٥	٧٩	٤٦١	٤٦١	١٩٨٤
.	٥٢	٢٢	٧٦	٥١٨	٥١٨	١٩٨٥
.	٦٧	٢٤	٩١	٥٥١	٥٥١	١٩٨٦
.	٤٤	١٤	٥٨	٥٠٢	٥٠٢	١٩٨٧
.	٥٦	١٩	٧٥	٢٥٨	٢٥٨	١٩٨٨
٢٠	٥٠٠	١٩	٨٩	٢٥١	٤٥٥	١٩٨٩
٢٠	٤١٢	١٥١	٥٨٢	٢٤٢٢	٢٥٢٧	المجموع

المصدر : شارلز كندي "تنفيذ قانون الحدود في باكستان" دراسات إسلامية . العدد ٤ - ص ٢١٥ .

اللاحظة : الأعداد بين الھاللين تشير إلى النسبة المئوية المناسبة.

(١) أنيتاوس "التوكيد الإسلامي في باكستان قابلية التطبيق العملي للأسلمة في دولة متعددة" (لاهور: وانغوارد، ١٩٨٧م) ص ١٠١-١٠٠ .

العدد ٢- المجلد ٢٧- ذو القعدة ١٤١٢هـ

البعث الإسلامي

الشريعة الفدرالية تحت قانون الحدود إنما تصل بالرجال، كما أنها بالإضافة إلى ذلك تبرز أن ١٠٠٪ من النساء ظهرت براءتهن في قضيائياً الاختطاف.

لقد استنتج "كندي" بغاية من الدقة والبراعة «أنه يمكن أن يحمل أحدهنا مناقشات ونزاعات مشروعة مع تنفيذ قرار الحدود ، لكن التعامل والانحياز الجنسي ضد النساء ليس واحد منها (١)».

طبقاً للدراسة الحديثة المعتمدة على نموذج لسبع وتسعين ومائتي قضية رفعت إلى محكمة الشريعة الفدرالية سنة ١٩٨٥م-١٩٨٦م طبقاً لذلك لم يتم تجريم امرأة ما تحت [٢١٠] الزنا بالجبر ، بينما ثبتت خطيئة ست نساء فقط من مجموع ٤٢ قضية للزنا بالرضا [٢١٠] . وبالعكس من ذلك تم تجريم ٤٧ امرأة و ٨٢ رجلاً من مجموع ١٢٩ قضية للزنا . وبذلك ينكشف تماماً أن محكمة الشريعة الفدرالية إن كانت تجنب للنزعية الجنسية فانما هي لصالح النساء على حساب الرجال.

الجدول = ٤

التجريم وفق الجنس، ١٩٨٥م-١٩٨٨م						
الجنائية	الذكر	الإناث	المجموع	الذكر	الإناث	محكمة المديرية
الزناء القابل للحد	٢	٢	٤	٢	٢	الزناء
الزناء	٤٧	٤٧	٩٤	٢٧	٢٧	الزناء بالجبر
الزناء بالجبر	٧١	٧١	١٤٢	٢٥	٢٥	الاختطاف
الاختطاف	٥٦	٥٦	١١٢	٤	٤	الاغراء
الاغراء	٥٤	٥٤	١٠٩	١٦	١٦	محاولة الزنا بالجبر

(١) المصدر السابق ، ص ٢١٦ .

مكانة الأخلاق والمجتمع والقانون في كيان إسلامي

وعوامل اقتصادية واجتماعية وثقافية أخرى.

وثانياً - ولعله أكثر خطورة - يرجع ذلك إلى أن باكستان منذ ما ظهرت

دولة إسلامية لم نعمل على بنائها وصياغتها دولة إسلامية بمعناها حتى إننا لم نهتم ببناء سلوك قومي لشعبنا ، مما أدى إلى انهيار شعبنا وانحطاطه ريفياً ومدنياً على حد سواء بل مني شعبنا عملياً بالانحراف إلى ثقافة تعارض الإسلام في طول الخط.

إن وضعنا يعاني من التدهور الخلقي والاسفاف الديني والتفسخ الاجتماعي وفقدان الهوية الإسلامية لا يمكن فيه للتنفيذ الجرئ لبعض مظاهر الشريعة أن يؤدي دوره في إصلاح الوضع أو أن يجني أي فائدة لصالح النساء اللاتي طال شفاؤهن.

ولنفترض بهدف النقاش أن قانون الحدود قد نسخ ، فهل ذلك يصلح - كيما كان - الوضع العصيب لجتمعنا؟ وهل ذلك يجعل شعبنا الهائل يشعر بمسؤولياته؟ وهل ذلك يدفع نساءنا ويهثهن على تطوير فكرتهن وتهذيب عملتهن؟ الواقع أن القضية لا يمكن أن تحدد بقبول قوانين معينة أو رفضها ، وإنما تتطلب منها نستقبلها كمؤثر على الانحراف الخلقي والتدلي الديني في أعرافنا وتقاليدنا الاجتماعية والتعليمية والخلقية السائدة.

المطابقة الاجتماعية: مما يتحتم ذكره أن جميع القضايا التي رفعت إلى المحكمة تورطت فيها الطبقات الوسطى والطبقات الوسطى العليا من سكاننا ، ولكن ذلك لا يعني بالضرورة أنها تحملان الشعور القوى نحو الأخلاق والمجتمع ، مما ساعدهما على تطوير وتوسيع مناعة وحرمة هذه الآثام . وإنما يدل ذلك على أن الناس لعلهم يختارون في الثقافة المدنية وسائل تحفظهم من الاجراءات القانونية ، أو أن الطرق التي تم استخدامها لجمع المعلومات تحتاج إلى إعادة النظر في البيئات المدنية.

إن دراسة في أنماط القضايا المقدمة إلى محكمة الشريعة الفدرالية (١) تفيد

(١) على سبيل المثال : الطلب الجنائي الرقم : ٩/ك ، ١٩٨٥ ، ٥/ك ، ٢١٠٨٢ ، ٥/ك ، ٢١٠٨٣ ، ١٥/ب ، ١٩٨٧ .

الدراسة التي قام بها تشارلس كندي تكشف أنه لم يقع أي حادث لجراء عقوبة الحد أثناء السنوات الخمس الأولى لتنفيذ الحدود (٨٤ م - ١٩٨٠ م) حتى إلى سبتمبر ١٩٨٧ م، حيث يقول :

رغم الظنون الفاشية والتقديرات السائدة في باكستان والغرب كليهما أن تنفيذ قانون الحدود (قطع اليد، الرجم) سيحظى بالاشادة والتجاوب في باكستان ، لم يتم إلى سبتمبر ١٩٨٧ م إجراء عقوبة ماللحد في الولاية ، وبعد ما أبطلت المحكمة العليا قضية غلام علي وزاهدة إقبال التي اختير فيها عقوبة قطع اليد لها لأجل السرقة من قبل محكمة الشريعة الفدرالية لم تستطع أي قضية لعقوبة الحد أن تجتاز عقبة الاحتكام إلى محكمة الشريعة الفدرالية ، من أجل ذلك لم يتم اجراء عقوبة للحد تقريباً إلى سنة ١٩٩٠ م (١).

العلومات المتوافرة عن تنفيذ قانون الحدود تبرهن على أن اعتبار قانون الحدود الذي يبحث في الجنایات الجنسية تميزاً ومنحازاً ولا سيما ضد النساء تبرهن على أن ذلك لا يتنى على الصحة بتاتاً ولا يمت إلى الواقع بصلة ما . سواء تمت تسوية الخلاف حول ذلك أو لم تتم ، فقد أطلت علينا قضايا ومشكلات هي أهم وأخطر من قضية التحامل والتحياز ضد النساء ، وإليكم فيما يلى بعض هذه المشاكل والقضايا :

الاتحالة والتفكك الاجتماعي: إن نظرة في القضايا المقدمة في محكمة الشريعة الفدرالية تكشف لنا أن أغلبية قضايا الزنا بالرضي والزنا بالجبر قد ظهرت في المناطق الريفية ، وقد اعتبر المجتمع الريفي حسب العرف السائد أكثر حافظة على القديم وأكثر تمعنا بالحفظ والصيانة والاخوة والتضامن والولئام ، غير أنه بناء على تفاصير حجم الوحدة الريفية ونقصان قابلية التحرك والانتقال وجود الانتساب المحلي والزواج اللمحي عادت الحياة الريفية تعتبر أكثر شخصية وانطواء على نفسها من الحياة في بلد صناعي .

مهما كان الأمر فقد يظهر أن معظم السكان الريفيين تعرضوا لشكلة خلقة واجتماعية هامة بناء على النزوح المتزايد للعاملين في داخل البلاد وخارجها

(١) تشارلس كندي ، ص ٢١٨ .

مكانة الأخلاق والمجتمع والقانون في كيان إسلامي

فإذا وجد لذلك أساس صحيح جربت نفس القضية تحت الحدود . والفائدة الثانية أن التنفيذ التام لقانون حد القذف سيثبت بصورة تلقائية أولئك الأزواج الذين يرمون أزواجهم السابقات بالزنا حسداً وعفاداً أو نفقة .

وبالجملة مهما نازع أحد في الطريقة التي تم بها تنفيذ قانون الحدود لكن لا يمكن أحداً أن ينكر دوره فيما جعل يمكن لنا أن نعيد نظرنا وننظر بأكثر من الدقة والبعد في القضايا والمشكلات التي تتعرض بها أنظمتنا التعليمية والاجتماعية والقانونية السائدة . ويستطيع قانون إسلامي شامل أن يرشدنا في هذه المجالات الثلاثة الهامة إلى نظام قانوني أمثل ومجتمع ديني أفضل .

ما يتعرّض له النساء وما يتعرّض لهنّ في ظلّ قوانين «المساواة بين الجنسين» لما ذهّم ملحوظ على «استعادة» «حق» النساء لـزاولة حياة الخلاعة والجنون . ولم يتعارض قط أحد من هؤلاء المحامين المعروفيين «للحق الإنساني» على القسم ١٩٩ لـقانون الاجراء الجنائي الذي يحرم المحاكم من منح الشرعية لـجناية جنسية إلا إذا رفعت الشكوى من قبل زوج المرأة أو نيابة عنه . ولم يعتبره مميزة ومنحازاً . وبالاضافة إلى ذلك نشاهد أن المحكمة تتخذ الاجراءة القانونية ضد المرأة إذا رفع الزوج شكواه ضدها . لكن المرأة لا تتمتع في القسم ١٩٩ لـقانون الاجراء الجنائي «بحق» لرفع الشكوى ضد زوجها الزاني . فعلى الأقل بهذه الناحية ينبغي أن يستبشر دعاة حرية المرأة بأن قانون الحدود قد عالج المرأة بأحسن ما عالج الرجال وجعلهم أن يستحقوا بنفس العقوبة إذا ما تحقق تورطهم في الزنا والفسق.

العوامل الاجتماعية الأخرى: إن إلقاء نظرة على القضايا المقدمة إلى محكمة الشريعة الفدرالية للزنا بالرضا [٢١٠] والزنا بالجبر [٢١٠] يتوصّل بنا إلى أن ١٨٪ من المتهمين كانوا أقل من ١٨/ سنة ، وكان ٢٨٪ منهم أقل من ٢٥/ سنة . وبالنسبة للجنس كان ٨٢٪ منهم رجال لهم خلفية اجتماعية خاصة . فأغلبيتهم مثلاً كانت متوفّفة في أشغال شبه حاذقة أو عدم حاذقة أو منحطة . ومن الناحية الاجتماعية برزت أغلبية القضايا من المناطق الريفية ، وتوفّفت ٩٥٪ من النساء المتهمات في الشئون البيتية . على أن ٧٥٪ من مجموع المتهمين بالزنا بالجبر والزنا بالرضا سكنوا في المناطق الريفية .

أن رمى شخص بتهمة الزنا لم يتم في عامه الأحوال إلا بالوالدين أو أحد كبار الأخوة أو زوج سابق عندما ثبتت امرأة متزوجة أو متنكحة مرات ثانية بدون موافقتهم على ذلك . وعلى غرار ذلك تم الاتهام في أحداث الزنا بالجبر في عامه الأحوال من قبل امرأة ضد صديقها الرجل أو وقع ذلك من نفسها أو أحد أقربائها [١] .

لا يمكن أن يحدد هذا النمط لسكن الأرياف فقط ، وإنما هو نمط عام يشمل مجتمعنا كلّه ، فالحاجة ماسة إلى دراسة موضوعية نزيهة شاملة لمناطقنا المدنية بأحسن ما وقع ذلك مع المناطق الريفية لندرك بصورة تامة تلك الدواعي التعليمية والدينية والثقافية والاجتماعية التي تعمل وراء هذه الظاهرة .

ما زقنا: إن أعظم مشكلة يعاني منها المجتمع الإسلامي أنه يتطلع إلى الانتفاع بالوصايا الإسلامية بدون أن يخلع رقبته عن رواسب الاستعمار ، إن المقياس الذي نقترحه لضبط التطور أو جداره أي مبدأ ينتهي أساسياً إلى الغرب . وتم تشريع قوانين الحدود في نظام قانوني يتعارض بنفسه مع كثير من الوصايا وال تعاليم الأساسية والصريحة للإسلام ، هذه الطريقة الملتوية المعوجة لا تستطيع بطبيعة الحال أن تقضي على الآثار الاجتماعية والتحامل والانحياز ضدّ جنس ما .

تواجّه نساواتنا في كل مرحلة من مراحل وجودهن الظلم والعدوان والاهمال بسبب الرواسب الاستعمارية والعادات الاجتماعية التي منحت عنوان « الثقافة الشرقية » بدون أن يوجد لذلك أساس في الإسلام . فهل يعني ذلك أن تنفيذ قانون الحدود سيظل عرضة الاهمال والتّأجيل مادام لا يوجد وضع مثالي ؟

نحن نؤمن بطريقة إيجابية هادفة بناءً ، فلكي نجعل قانون الحدود أكثر نفعاً وإنّجاً يجب علينا أن نبرز بعض قوانين وحدود إسلامية خاصة حتى يتمهد السبيل لـتنفيذ الشرائع الدينية والقوانين الإسلامية . فالارتياح وعدم الاقتناع بقانون الحدود كان يمكن علاجه بسهولة إذا ما تم تنفيذ التعليمات الإسلامية الأخرى بصورة تامة مثل تنفيذ حد القذف . فكثير من القضايا التي سجلت تحت الزنا بالرضا [٢١٠] أو الزنا بالجبر [٢١٠] أمكن لها أن تجرب تحت القذف [٢] .

(١) مثلاً الطلب الجنائي الرقم : ٢١/١٩٨٦ / ٢٢، ٢٢٠، ٨٧ / ٢٢٠، ٨٨ / ٥٥، ٨٨ / ٥٥ / ٢٢٠، ٨٨ / ١١٠، ٨٧ / ١١٠، ٨٧ / ٥٠، ٨٦ / ١٥، ٨٥ / ١٨، ١٩٨٥ / ١ .

(٢) مثلاً الطلب الجنائي الرقم : ٧ / ب / ٨٦ .

وبعبارة أخرى إن أغلبية المتورطين في جنحة الزنا كانت من الشباب الذين تنقصهم الثقافة أو يغشون الجهل ، وهم ينحدرون إلى بيئه ريفية ، وذلك يدل على ما يواجه مجتمعنا من المشكلة الثقافية والاجتماعية وفراغ التنشئة والامبريالية الثقافية والتدهور الخلقي ، ويجب الآن أن نتيقن أن نظامنا التعليمي ووسائل النشر والإذاعة قد فشلت في بث الرسالة التي برزت لأجلها باكستان إلى الوجود ، إن التقدم الحضاري المتضاد والمجاراة والتباهي بالمادية الطاغية وعدم الاعتداد والثقة بمثل الحياة وقيمها العليا كل ذلك أدى إلى ظهور رجل توسيعى وانتهازى ، همه وعنايته بأحلامه المادية ومتطلباته الدنيوية أكثر منها بطريقة دينية مثالية للحياة .

التطورات والتغييرات التحسينية مثل الاصلاحات الجزئية في نظام قانوني لن تساعد على حل القضية ، وإنما الحاجة ماسة إلى طريقة مثمرة شاملة لتحقيق مجتمع نموذجي أمثل ، فالعلو الانساني والكرامة البشرية واحترام المثل الأساسية واعتناق القيم العليا من المتطلبات الأساسية لبناء مجتمع مثالي أفضل ، والرقابة الأخلاقية التي تمت صياغتها في الفرد والمجتمع أكثر أهمية وأعظم خطورة في نسج خطوط الثقافة العائلية والاجتماعية على السواء ، ولا بد للإصلاح القانوني أن يرافق التهذيب الخلقي والاجتماعي ويتكاتف معهما حذو النعل بالنعل .

(١) المصدر السابق ، ص ١٨-١٩ .

(٢) الدكتور / محمود حمدي زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ص ١٩ .

.....

.....

الاستشراق و التبشير

{ العلقة الثانية }

بعلم الدكتور احمد عبد الرحيم السابع
الأستاذ المساعد بجامعة الأزهر و قطر

ويبدو من الصعب تحديد تاريخ معين لبداية الاستشراق ، وان كان بعض الباحثين يشير الى أن الغرب النصراني يؤرخ لبدء وجود الاستشراق الرسمي بصدور قرار مجمع "فيينا" الكنسي في عام ١٢١٢م بإنشاء عدد من كراسى اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية (١) ولكن الاشارة هنا الى الاستشراق الكنسي تدل على أنه كان هناك استشراق غير رسمي قبل هذا التاريخ فضلاً عن أن هناك باحثين أوربيين (٢) .

ويذكر الباحثون : أنه ليس هناك اتفاق على فترة زمنية معينة لبداية الاستشراق فبعض الباحثين يذهب الى القول بأن البدايات الأولى للاستشراق ترجع الى مطلع القرن الحادى عشر الميلادى ، بينما يرى "رودي رات" أن بدايات الدراسات الاسلامية والعربية في أوروبا تعود الى القرن الثاني عشر الذي تمت فيه لأول مرة ترجمة معاني القرآن الكريم الى اللغة اللاتينية كما ظهر أيضاً في القرن نفسه أول قاموس لاتيني عربي (٢) .

وأول استعمال الكلمة "مستشرق" ظهر في سنة ١٦٢٠م حيث أطلق على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية ، وفي سنة ١٦٩١م وجدنا "أنتوني وود" يصف "صموئيل كلارك" بأنه "استشرافي نابه" يعني بذلك أنه عرف بعض اللغات الشرقية و "بيرون" حينما يتحدث عن المستر "ثورنتون" يذكر معارفه الكثيرة الدالة على النعل بالنعل .

(١) المصدر السابق ، ص ١٨-١٩ .

(٢) الدكتور / محمود حمدي زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ص ١٩ .

.....

.....

الاستشراق والتبيشير

ولهذا يمكن القول بأن تاريخ الاستشراق في مراحله الأولى هو تاريخ الصراع بين العالم النصراني الغربي والقرون الوسطى والشرق الإسلامي على الصعيدين الديني الأيديولوجي فقد كان الإسلام كما يقول «سازرون» يمثل مشكلة بعيدة المدى بالنسبة للعالم النصراني في أوروبا على المستويات كافة^(١).

باعتباره مشكلة عملية استدعى الأمر اتخاذ إجراءات معينة كالصليبية والدعوة إلى النصرانية والتبادل التجاري .. وباعتباره مشكلة لا هوية تطلب بالحاج العديدة من الأسئلة في هذا الصدد وذلك يقتضي معرفة الحقائق التي لم يكن من السهل معرفتها^(٢).

ويذكر الباحثون أنه من القرن الخامس الميلادي حتى أواخر القرن الرابع عشر الميلادي كانت أوروبا تعيش فترة يسمونها "العصور الوسطى" ويعودونها عصوراً مظلمة حيث كانت شعوب الفرنجة تعيش حياة همجية يائسة في ظلال كنيسة مسلطة مستبدة، ولكن كان أبرز حدث في تاريخ هذه الفترة هي تلك النافذة التي فتحت في جنوب أوروبا الغربي تطل منه على الحضارة الإسلامية، وذلك بوصول طلائع المسلمين إلى الأندلس واقامتهم صرح الحضارة الإسلامية فيها والتي امتدت إلى أواخر القرن الرابع عشر الميلادي في حوالي سبعة قرون^(٣) وكانت فيها الأندلس مركزاً أحضارياً في هذا الجزء من أوروبا يشع عليها آثاره في زحف هادئ في معظم الأحيان ثم في صورة هجمات قوية كادت تخترق فرنسا إلى قلب أوروبا في أحياناً أخرى^(٤).

وكانت هناك نافذة أخرى فتحت أمام أوروبا على الشرق، وهي الحملات الصليبية على بلاد الإسلام، فقد جلب الصليبيون معهم إلى أوروبا كثيراً من عادات المسلمين وأزيائهم وأنماط حياتهم ووسائلهم في الحرب والبناء.

ولاشك أن عالم الكنيسة النصرانية أيقن أن زحف المسلمين هذا لم يكن زحفاً عسكرياً فحسب، بل كان حضارة تمتد وتبسط نفوذها وتنشر معالها في كل بقعة تصل إليها فتغير من حياة الشعوب وأفكارهم وعقائدهم وأسلوب حياتهم.

وحافظت الكنيسة "روما" على قيافتها الدافتة ففتحت محاكم التفتيش تنكل وتحرق وقتل كل من رفع رأيه العصيان في وجهها أو حاول التخلص من سيطرتها، ورغم كل

استشراق عميق^(٥).
ويذكر رودنسون "أن كلمة مستشرق ظهرت في اللغة الإنجليزية حوالي عام ١٧٧٩ م كمادخلت الكلمة "الاستشراق" على معجم الأكاديمية الفرنسية، في عام ١٨٢٨ م^(٦)، وتجسدت فكرة نظام خاص مكرس لدراسة الشرق، ولم يكن المتخصصون بعد من العدد بحيث يمكنهم تشكيل جمعيات أو مجلات متخصصة في بلد واحد، كان أفق هؤلاء المستشرقين يشمل عدداً من المجالات بطريقة غير متوازية في عمقها، ومن هنا بدأ تصنيفهم كمستشرقين، وشهدت فكرة الاستشراق تعمقاً كبيراً لأنها تعرضت كذلك للأضرار، وكان الشرق يأخذ مكانه في مؤلفات القرن الثامن عشر إلى جانب الغرب في أفق شمولي^(٧).

ولكن المهم هنا ليس هو متى ظهر مفهوم مستشرق أو استشراق وإنما المهم هو متى بدأت الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، ومتى بدأ الاشتغال بالاسلام والحضارة الإسلامية، سواء بالقبول أو بالرفض، وهذا أمر موغل في القدم، أما المصطلح ذاته فلا يعني شيئاً أكثر من اقرار أمر واقع، واطلاق وصف على الدراسات التي كانت قائمة بالفعل قبل ذلك بقرون عديدة بصرف النظر عن عملية هذه الدراسات أو موضوعيتها^(٨).

وعلى أي حال - كما يقول الدكتور زقزوقي -^(٩) فإن الدافع لهذه البدايات المبكرة للاستشراق كان يتمثل في ذلك الصراع الذي دار بين العالمين الإسلامي والمسيحي، في الأندلس وصقلية، كما دفعت الحروب الصليبية بصفة خاصة إلى اشتغال الأوروبيين بتعاليم الإسلام وعاداته^(١٠).

(١) الدكتور أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق ص / ٢٢ .

(٢) أنظر مكسيم رودنسون تراث الإسلام تصنيف شاخت وبوزورثج / ١ - ص / ٧٨ ترجمة الدكتور محمد زهير السمهوري سلسلة عالم المعرفة بالكويت ١٩٧٨ م .

(٣) الدكتور أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق ص / ٢٥ .

(٤) الدكتور محمود حمدي زقزوقي الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ص / ٢١ .

(٥) مواليد محافظة الدقهلية عام ١٩٢٢ م أتم دراسته في جامعة الأزهر وحصل على درجة دكتوراه في الفلسفة من جامعة ميونخ بألمانيا الغربية ١٩٦٨ م وقد أصدر عدة كتب ودراسات في الفلسفة .

(٦) أنظر الدكتور زقزوقي : الإسلام والاستشراق ، ص / ٧٢ ضمن كتاب : الإسلام والمستشرقون ، جده ١٤٠٥ هـ .

(١-٢) الدكتور زقزوقي : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ص / ٢١ .

(٢) العقاد : أثر العرب في الحضارة الأوروبية ص / ١١٥ - ١١٩ ط. دار المعارف .

(٤) عبد العزيز القاري المستشرقون في الميزان ، ص / ٢٧٢ ط. المدينة المنورة .

هذا فإن الكنيسة عجزت عن ايقاف التيار فاضطرت إلى أن تدافع عن نفسها بطريقة أخرى فيبدأ بالاهتمام بدراسة اللغات الشرقية، وفي مقدمتها اللغة العربية (١).

فكان طلائع المستشرقين من القس ورهاي، فانكبوا على دراسة اللغة العربية، وكان رجال الكنيسة يشكلون وحدتهم، الطبقة المتعلمة في أوروبا ويهيمون على الجامعات ويرأسون علم فيها.

وأنشئ أول مركز لدراسة اللغة العربية في الفاتيكان لتخریج أهل جدل يقارعون فقهاء المسلمين ويجادلون البروتستانت.

ورحل أول فريق من الرهبان إلى المغرب للغاية نفسها، ورحل آخرون إلى المشرق، وأمر الفاتيكان بدخول اللغة العربية، واللغات الشرقية الأخرى، في مدارس الأديرة والكاتدرائيات، وعمل على إنشاء كراسى لهذه اللغات في الجامعات في إسبانيا وفرنسا وإيطاليا، وأصبحت جامعة باريس تشكل أهم مركز للدراسات العربية والشرقية، راستعين بعدد من علماء اللاهوت وبعدد من المستشرقين، ومن أجادوا تلك اللغات للقيام بتدريسيها في تلك المدارس، ولتولى تلك الكراسي في الساعات (٢).

ثم توسيع الدراسات الشرقية والعربية أكثر عندما أمر بابا الفاتيكان الخامس في أوائل القرن الرابع عشر بإنشاء كراسى للغات العربية والغجرية والكلذانية في عدد من الجامعات الرئيسية في أوروبا، وهي جامعة باريس وأكسفورد، وبولونيا وجامعة الفاتيكان نفسه، مع تنصيب استاذين لكل من هذه اللغات في كل كرسى وتكلبها بترجمة نصوص عربية وعبرية وكلذانية تردد على منتدى الدين المسيحي (٣).

الأمر المهم بالنسبة لتطور الاستشراق كان الاقتناع بضرورة تعلم لغات المسلمين إذا أريد لمحاولات تنصير المسلمين أن تؤتي ثمارها بنجاح، ومن بين من تبني هذا الرأى الذي فرض نفسه بالتدرج "روجر بيبون" و"رانموندل" وقد صادق مجمع فيينا الكنسي عام ١٩١٢م على أنكار "بيكون ولل" بشأن تعلم اللغات الإسلامية واللغة العربية على وجه الخصوص، وقد تم تنفيذ ذلك في جامعات باريس وأكسفورد وسلنكا (٤).

وقد ساعد على تقدم الدراسات الاستشرافية في نهاية العصر الوسيط تلك

(١) المصدر السابق ص ٢٧-٢٨ . (٢) المصدر السابق ص ٢٥-٢٦ .

(٣) نجيب العقيقي، المستشرقون ج ١- ص ١٢٤ ط. دار المعارف.

(٤) الدكتور محمد حمدي زقزوق، الإسلام والاستشراق في نهاية العصر، ج ٢، ط. المعرفة، ص ٧٥.

الاستشراق والتبشر

الصلات السياسية والدبلوماسية مع الدولة العثمانية التي اتسعت رقعتها حينذاك وقد كان للروابط الاقتصادية لكل من إسبانيا وإيطاليا مع كل من تركيا وسوريا ومصر، أثر كبير في دفع حركة الدراسات الاستشرافية (١).

وفي القرن السادس عشر وما بعده أدت النزعات الإنسانية في عصر النهضة الأوروبية إلى دراسات أكثر موضوعية من ذي قبل، ومن ناحية أخرى ساندت البابوية الرومانية دراسة لغات الشرق من أجل مصلحة التبشر (٢) ولذا يرى كثير من الباحثين: أن الاستشراق لون من ألوان التبشر "الغزو الفكري" ويعود إلى أسباب دينية فبعد عهد الاصلاح الديني شعر الأوروبيون من البروتستانت والكاثوليك بحاجة إلى إعادة النظر في شروح كتبهم فاتجهوا إلى الدراسات العربية والإسلامية، وأخذوا يستفيدون مما وصل إلى أيديهم من المؤلفات الإسلامية الكثيرة، ثم تطور الاستشراق فأصبح يهتم بالعلوم الاقتصادية والسياسية إلى جانب غرضه الأول وهو التمهيد للبشرى وخدمة أهدافهم (٢).

وقد كثروا المستشرقون في أول الأمر بين اليهود لعدم مناسبة حين كان الشرط الأساسي للاستشراق معرفة اللغة العربية، وبما أن اليهود يتكلمون لغةً عربيةً ولا نقول: ساميةً، فإن تعلم العربية كان سهلاً عليهم ثم إن اليهود في الأصل شرقيون فساعدتهم ذلك على فهم النصوص العربية وعلى ادراك المشاكل الشرقية أكثر مما كان ذلك مساعدًا لغير اليهود و كذلك كان اليهود الذين يسكنون في الغرب يعرفون الحاجات السياسية والعلمية التي كانت الدول والجمعيات المعنية بهذا الاتجاه ترمي إليها أكثر من غيرهم لجمعهم في الأصل بين الذهن الشرقي والمسكن الغربي (٤).

والظاهر أن اليهود أقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية، وهي محاولة لاصحاف الإسلام والتشكيك في قيمه باثبات فضل اليهودية على الإسلام (٥).

وقد استطاع اليهود أن يكيفوا أنفسهم ليصبحوا عنصراً أساسياً في إطار الحركة الاستشرافية الأوروبية النصرانية (٦).

(١) المرجع السابق ص ٢٥ . (٢) المصدر السابق ص ٢٥ / ٢٥ .

(٣) الشيخ أحمد بشير: الغزو الفكري والتيار المادي للإسلام من ٤٦٩-٤٧٠ .

(٤) الدكتور عمر فروخ: الاستشراق في نطاق العلم و في نطاق السياسة ص ١٢٢-١٢٤ .

(٥) الدكتور محمد البهري الفكر الإسلامي الحديث، ص ٥٤٢ ملاحق ط. دار الفكر بروت.

(٦) الدكتور محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية، ص ٤٩ .

ولم يرد اليهود أن يعملوا داخل الحركة الاستشرافية بوصفهم مستشرقين يهوداً حتى لا يعزلوا أنفسهم وبالتالي يقل تأثيرهم ، ولهذا عملوا بوصفهم مستشرقين أوربيين، وبذلك.. كسبوا مرتين:

= كسبوا أولًا: فرض أنفسهم على الحركة الاستشرافية كلها.
= وكسبوا ثانياً: تحقيق أهدافهم في النيل من الإسلام، وهي أهداف تلتقي مع أهداف غالبية المستشرقين النصارى (١).

وقد ظلل اليهود طوال تاريخهم يتحينون كل فرصة متاحة ليكيدوا الإسلام وال المسلمين وقد وجدوا في مجال الاستشراف باباً ينفتحون منه سوءهم ضد الإسلام والمسلمين فدخلوا في هذا المجال مستخفين تحت رداء العلم كما وجدوا في الصهيونية بباب آخر يفرضون منه سلطتهم على العرب والمسلمين (٢).

وتتمثل اتجاهات الاستشراف اليهودي في عدة شبهات:

أولاً: القول بأن المسلمين معناه في الأصل الخائن.

ثانياً: الادعاء بأن النبي عليه الصلاة والسلام كانت تنتابه النوب العصبية، ودليل ذلك، ما كان يصيبه من الجهد خلال نزول الوحي مع أنه عليه الصلاة والسلام لم يعرف في تاريخه كله أنه كان يصاب بمثل هذه النوبات العصبية قبل زمان البيعة ومقدماتها.
ثالثاً: الزعم بأن الرسول ﷺ عاشر بعض النصارى واليهود واستفاد منهم كثيراً من القصص واقتبس بعض أساليب التعبير التي لم تكن معروفة للعرب، مثل: ذاق الموت، ونفع في الصور، وفي آذانهم وقر، وهو ادعاء مسبوق بذهنه مشركاً ومهماً الذين قالوا: "إنما يعلمه بشر". وقد بيّن لهم القرآن فقال: «لِسَانُ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَغْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ» (٢).

«وَمَا كُنْتَ تَتَلَوَّنَ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُلُهُ بِيَمِينِكَ أَذَلَّ أَذَرَّ أَذَرَّ الْمُبْطَلُونَ» (٤).

رابعاً: الادعاء بأن محمدًا ﷺ ما كان رسولاً ولانبياً فزعم للعرب في تجسس الأخبار والاسراع بنقلها بطرق لم يوفق أحد من المتحضرين حتى اليوم إلى كشف سرها.
خامساً: إن محمدًا ﷺ كان صادق الفراسة، نفاذ الرجال إذا الذي أحدهم انكشف له سره

(١) المصدر السابق من ٥٠ بتصريف.

(٢) سورة النمل، الآية ١٠٢.

(٤) سورة العنكبوت، الآية ٤٨.

الاستشراف والتقبيل

سادساً: ما كان من بلاغ النبي ﷺ، ورسالته ملخص حيأً يوحى وإنما هي أنباء وروايات يجندلها جواسيسه ورجاله أو حقائق يبلغها بحذقه وفراسته.

سابعاً: تزوج الرسول ﷺ بالسيدة خديجة رضي الله عنها طعافي ثروتها، وهي أكذوبة لا تتفق مع ما عرف عن رسول الله ﷺ من زهد في الدنيا، وأنه لم يورث أعقابه الزهيد مما خلفه بل جعله لعامة المسلمين بقوله: «نحن معاشر الأنبياء لأنورث ما تركتنا صدقة».
ثامناً: الزعم أنه انشأ جمعية سرية واختار أبا بكر الصديق رضي الله عنه رئيساً لها، فجعل يروج لها ويتفاني في نشرها فكانوا يجتمعون في بيت الأرق وأنهم كانوا يجتمعون سراً للصلوة وقد حاول المستشرق "مرجليوث" تشبيههم بال Manson وأن هذا الجمع قد اتخذ رموزاً منها: السلام عليك.

تاسعاً: الزعم بأن النبي ﷺ نظر في تعاليم النصارى واليهود فأخرج منها ما لا يقبله العقل، وأنه وحد بين إله اليهود والنصارى وجعلهما واحداً

ولاريب أن هذا القول باطل من أساسه، والحقيقة أن التوحيد هو دين جميع رسل الله وأنبيائه، وأن النصرانية واليهودية حرفاً تهذّب العقيدة (١).

على هذا النحو حاول الاستشراف اليهودي تصوير الإسلام ورسالته ونبيه ﷺ، وهو ما أورده "مرجليوث" في كتابه: محمد وظهور الإسلام (٢).

وقد تابع "مرجليوث" على نفس الطريق في الاستشراف اليهودي "جولدسيهير" ويعده جولدسيهير من أكبر الناقمين على الإسلام و يعد كتابه "العقيدة والشريعة في الإسلام" مثلاً لهذا التشويه الذي حاول به تمزيق الحقائق الإسلامية، والذي يمثل تزوير أنا دحاً وتحريفاً خطيراً للشريعة الإسلامية (٣).

ويضيف "جولدسيهير" إلى مفهوم الاستشراف اليهودي عدة شبهات:

أولاً: القول ببشرية القرآن أي أنه ليس وحياً وأن القرآن لم يأخذ خططاً واحداً في التعبير عن مدلول القضايا التي ساقها وأن أسلوبه متباين بين البيئتين المكية والمدنية.

ثانياً: أن الإسلام كان مزيجاً من تفاصيل الفكر اليهودي والمسيحي.

ثالثاً: استقبال الرسول ﷺ لبيت المقدس والصلاحة كان استرضاء لليهود.

رابعاً: أن قصة إبراهيم في القرآن مفتعلة، وأنها نزلت في المدينة أرضاء لليهود

(١) الأستاذ أنور الجندي: الإسلام في وجه التفريب من ٢١١-٢١٢، ط. دار الاعتصام.

(٢) المصدر السابق من ٢١٢-٢١٤.

والواقع أن القرآن تحدث عن إبراهيم عليه السلام في أكثر من موضع في القرآن المكي وأهمها سورة إبراهيم.

خامساً: «فقه الإسلامي مأخوذ من الفقه الروماني». سادساً: أن الإسلام قام على السيف.

سابعاً: الحديث النبوي من صناعة الصحابة والتابعين.

ثامناً: الجيوش العربية أخرجها القحط والجوع. تاسعاً: انكار عالمية الرسالة (١).

ولاريب أن هذه الشبهات ليست جديدة، وقد كشف كتاب المسلمين فسادها وزيتها.

لذا كان الأمر - كما عرفنا - من بداية الحركة الاستشرافية، فاننا نرى أن الحركة الاستشرافية انتقلت إلى مرحلة أخرى، توجهت فيها إلى دراسة الإسلام، وما يتصل به، وكان الهدف من ذلك هو التمهيد للاستعمار الراهن في ذلك الوقت (٢).

ولما أدرك الغرب أن التغلب على المسلمين والتحكم فيهم عسكرياً حدث قصير العمر انصرفت هم المستشرقون وعلماء الغرب إلى الغزو والفكري (٣) أو التبشير، أو تمرين المسلمين عن الإسلام.

وهذه المرحلة من أخطر المراحل، بل هي الحرب الحقيقة، والغزو الشرسة التي لا تهدف إلى هدم المنشآت وتمزق الجيوش، وتحطيم العزائم، وطمسم العالم، وتعيمية الطريق، وبذلك يضيقون الخصوّع من غير أن يحتاجوا إلى أن يرفعوا سلاحاً (٤).

ولذلك عمل المستشرقون على تقويض العقيدة الإسلامية، واحلال مفاهيم الصداقة بين الدول الغالبة والمغلوبة محلها تحت اسم الحضارة أو العالمية أو وحدة الثقافة والفكر البشري (٥) والأخاء الإنساني، وما إلى ذلك من مسميات، ويرى كثيرون أن الاستشراف ولد من أبوين غير شرعيين، هما: الاستعمار والتبشير، وأنه ما زال

(١) المصدر السابق ص ٢١٤٠.

(٢) د. عبد العظيم الديب، المستشرقون والتاريخ، مجلة البعث الإسلامي، عدد ٢٢٢/ ٢٤٢ رمضان وشوال ١٤٠٢هـ (الهند).

(٣) د. حسن ضياء الدين: الاستشراف مجلة كلية الشريعة، ص ٢٦ العدد الخامس مكة المكرمة ١٤٠١هـ.

(٤) الدكتور عبد العظيم الديب، المستشرقون والتاريخ، مجلة البعث الإسلامي، ص ١٤٢/ ٢٤٢ رمضان وهو ١٤٠٢هـ.

(٥) دكتور علي جريشه ومحمد شريف: أسلوب الفتوح من ٢٠٠ ط. دار الاعتماد.

الاستشراف والتبيه

يعلم من أجل هذا الفرض الذي ولد من أجله وإن غير أساليبه وجلده، مرات ليتلاءم مع الظروف المختلفة (١).

أما الاستعمار فهو برأي أن الماهر، الإسلامي السليم من شأنه أن يعطي المجتمع المسلم قوة تحول دون سيطرة واستمرار، وأما التبيه فإنه يستهدف الحيلولة دون توسيع الإسلام وانتشاره، وقد أضيف إلى هذين الأبوين أب ثالث هو الصهيونية التي تهدف من سيطرتها على الاستشراف، الحيلولة دون تجميع المسلمين والعرب في وحدة تقاوم الصهيونية (٢).

ولقد كان الارتباط الجذری بين التبشير والاستشراف أخذداً وعطاً فوياً، والفرق بينهما هو أن الاستشراف أخذ صورة البحث، وادعى لبحثه الطابع العلمي الأكاديمي بينما ابنت دعوة التبشير في حدود مظاهر العقلية الحادة، وهي العقلية الشعبية.

وأ Ferdinand الاستشراف: الكتاب، والمقال في المجالات العلمية، وكرس التدريس في الجامعة، و المناقشة في المؤتمرات العلمية العامة، أما التبشير فقد سلك طريق التعليم المدرسي في دور الحضانة ورياض الأطفال والراحل الابتدائية والثانوية للذكور والإناث على السواء، كما سلك سبيل العمل الغيري الظاهري في المستشفيات ودور الضيافة والملاجئ للكبار، ودور اليتامي والقطاء، وأستخدم كذلك دور النشر والطباعة والصحافة (٢).

«نعم»

(١) الأستاذ أنور الجندي: إسلام في وجه التفريب، ص ٢٦٦-٢٦٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦٦.

(٣) الدكتور / محمد نبيوي المبشر و المستشرقون، ص ٢٦١.

«اهتمامات إسلامية»

وفي الوقت الذي تتصفح الأعلام المهم بأخبار العالم الإسلامي، والأقليات المسلمة، نجد جهوداً ومؤتمرات تتواتر في التعريف والتقصي عن أحوال المسلمين، وخاصة الأقليات في العالم، ولعل هذا من السنة الحسنة إن شاء الله، حيث يجب أن يتبع ذلك اهتمام بتوجيههم، وتعريفهم بأمور الإسلام، والحرص على أداء شعائره، وفهم ما تعنيه تلك الشعائر، من عمق في الدلالة، ورغبة في تقويم النفوس، حتى يكون للأقليات المسلمة في بلاد الله الواسعة، دور في التأثير، ونقل صورة الإسلام المشرفة، بأعمال بارزة في النظافة، وحسن السلوك، وأدب التعامل، أخلاقاً وأمانة، ومحافظة على الشعائر التي تدعو لاحترام أنظمة البلدان القائم فيه المسلم وغيره، بما في أعماله من تربية الإسلام، وأوامرها التي يجب أن يتبعها الرءوبه بالحلفه جل وعلا..

لقد اكتشف معهد شئون الأقليات الإسلامية، الذي ماضى على إنشائه عشر سنوات، أن الأقليات المسلمة تشكل ٥٠٪ من مجموع الأمة الإسلامية، وإذا كان للمسلمين اليوم ٤٥ دولة مستقلة، فإن الأقليات المسلمة تتواجد، ويترافق عددتها باستمرار في ٤٩ دولة أخرى، هذا باستثناء المجموعات القليلة التي تعيش في بقية أنحاء العالم، إذ لا يكاد المرء يزور جزيرة مهما نأت، أو بلداً مما يخفى على كثير من المسلمين مكانه، إلا وفيه تواجد إسلامي.

ولعل هذا من الدوافع لكثير من الهيئات، والأفراد المهتمين بالأمور الإسلامية، إلى تأليف بعض الكتب، وإجراء بعض الدراسات، ثم إقامة المؤتمرات لدراسة هذه الآثار، وإبراز ما يجب حيالها من اهتمامات، آخر ما وصل إلى علي من أخبار عنها مؤتمر الأقليات المسلمة الذي عقد في نيويورك لمدة ثلاثة أيام بدء بيوم الثلاثاء ٢٤ / ربى الأول ١٤١٠هـ، وقد استعرض الحاضرون معظم الأقليات في القارات الخمس، وأحوالها، وهي تستقي أهميتها من أهمية الإسلام أولاً، ومكانة الأقليات في كل مكان ثانياً، وضرورة عمل شيء من أجلهم يربطهم بآخوانهم ثالثاً.

ولاشك أن بساطة الإسلام، ومخاطبته العقل في كل شيء، حيث لا تتعارض تعاليمه مع مفهوم العقل السليم، ثم اهتمامه بالأخوة بين الناس، وتوفير التكافل بينهم، وتسامح شريعته، مما يلفت نظر المهتمين بدراسة هذا الدين، حيث ظهر بالمقارنة أن: «الذين للسيجية والراغبين فيها مجدد أهتم في سن المراهقة مابين ١٤ - ١٦ سنة.

«اهتمامات إسلامية»

دكتور محمد بن سعد الشبوعي

باء في الأثر الموجه للفرد والجماعة بأهمية الترابط الإسلامي: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»، وحث تعاليم الإسلام على الشعور بالإخوة، وتمكين الحبة لأخدي ما يحب لنفسه».. وهذه الحبة مستمدۃ من محبة هذا الدين والاهتمام به، ومن بين أفراد المجتمع الإسلامي كما في الحديث الشريف: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخدي ما يحب لنفسه»، وهو محمد بن عبد الله، آخر الأنبياء وأفضلهم.

وإذا كان المسلمون يشعرون بهذه الأهمية في العصور الأولى من تاريخ هذه الأمة، فإن أعداء الدين الإسلام الذين اندرسوا بينهم: نفاقاً ورياء.. قد حاولوا بث الفرقـة في الصـفـ الإسلامـي، وإفسـادـ العـقـيدةـ حيث نـشـأتـ الطـوـائفـ وـالـفـرـقـ، وحيـثـ زـينـ المـفـرـضـونـ لـضـعـافـ النـفـوسـ، وـضـعـافـ الإـيمـانـ، وـقلـيلـ الـفـهـمـ لـعـقـمـ ما تـعـنـيـ شـعـائـرـ إـسـلامـ منـ مـدـلـولـ لـلـوـحـدةـ، وـنبـذـ لـلـفـرـقـةـ، وـفيـ مـقـدـمـتـهاـ الرـكـنـ الـأـوـلـ مـنـ أـرـكـانـ إـسـلامـ:ـ أـشـهـدـ أـنـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ اللـهـ، وـأـنـ مـحـمـدـ رـسـولـ اللـهـ»..

وفي مقدمة من اندس ليفسد الإسلام من داخله: عبد الله بن سبا اليهودي الذي أسلم في عهد رسول الله ﷺ منافقاً، يظهر الإسلام، ويقطن الكفر، حتى إذا وجد الفرصة في عهد عثمان رضي الله عنه، ألب بعض المسلمين الجدد، فكانت أول فتنـةـ في تاريخ الإسلام، نتج عنها قتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وخروج أول فرقـةـ، تسمـىـ باسمـ إـسـلامـ، وتبـثـ شبـهـاتـ ضـدـ إـسـلامـ هـيـ الفـرـقـةـ السـبـاـيـةـ، وـانـتـشـرـتـ بـعـدـهاـ الفـرـقـ وـالـخـوارـجـ، فـكـانـتـ مـنـ السـنـةـ السـيـئـةـ الـحـدـثـةـ فـيـ السـجـلـ التـارـيـخـيـ إـسـلامـيـ، كـماـ أـخـبـرـ بـقـولـهـ:ـ «ـمـنـ سـنـ فـيـ إـسـلامـ سـنـةـ حـسـنـةـ فـلـهـ أـجـرـهـ وـأـجـرـ مـنـ عـمـلـ بـهـ إـلـىـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ»ـ.

«اهتمامات إسلامية»

ولئن كانت الحضارة الحديثة قد واجهت تحديات من الأفكار المختلفة، التي ت يريد توجيهها إلى المسار الذي ت يريد، لصالح ومقاصد يريدها المؤسرون لتلك الأنظمة: كالماركسية والرأسمالية وغيرها، فإن الإسلام الذي دخلت مقاصد شريعته العترك مؤخراً، استطاع أبناءه المدركون لعمق وحقيقة تلك المقاصد، أن يرسموا منهاجًا في الابانة أثبت قدرة على تجلية أضرار المادة العلمانية، وأن اهتمام كثير من الأمم بها، لم يزدها إلا خواص فكريًا، ومشكلات اجتماعية ونفسية وخلقية عديدة، تتفاقم مع الأيام، وتزداد مع الانغماض في متأهبات تلك الأفكار والمبادئ، حيث لم تستبن العالم التي يمكن اعتبارها مدافعي للنفس، ومهدثة للوجودان الروحياني..

فكان مواجهة الإسلام لتلك الأمور خير معين للحضارة الغربية، بالتماس طرق النجاة، كما قال بذلك المسلم الفرنسي جارودي، بعد أن فهم حقيقة الإسلام ودرسهها بعد إسلامه، وقارنها بالأفكار والمقاصد للمبادئ التي تنقل فيها طوال حياته فقال: إن المنقد للحضارة الغربية من هاوية الانهيار، يجده المفكرون الغربيون لو اتجهوا إليه في الإسلام، وما تنتظرو عليه شريعته الشاملة وأفقه الواسع.

إن المفكرين في ديار الإسلام تناسب بين ظهاراتهم يتبع من القوة الإيمانية، والاحتواء الفكري والعلمي، والراحة النفسية والعقدية، ضمن مبادئ دينهم، يجب عليهم أن يدركوها ويعملوا على نشرها في العالم، لتعبي فراغاً في الأفئدة، وتحقق نتائج يتطلع إليها العالم بأسره، ونковصهم عنها واستشرافهم لما عند الآخرين، يمثل جهد التاجر الذي يبيع بضاعته بخسارة فادحة، مع جودة السوق، وحرص الناس في التسابق على نوعية البضاعة.

المجادلة الحسنة:

المناظرة مع الآخرين في أي موضوع مظهر من المظاهر العلمية، ودليل على الخلاف في وجهة النظر إلا أن في ذلك ما هو محمود يعطي نتائج، وغير محمود بما يتركه من آثار، ومنهج ديننا الحنيف الدعوة إلى الرفق واللين في المجادلة، وخاصة مع أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى، لما يتركه الرفق من آثار، ولما يغلق من أبواب تنفتح نتيجة التعصب، وبغض الانهزام والغلبة.

ولعلماء المسلمين مناظرات كثيرة مع أهل الكتاب، منها ما حقق نتائج واستجاب

> بينما الداخلين في الإسلام تتراوح أعمارهم ما بين ٢٩-٢٢ سنة.
والفرق بين الحالين، أن الأولى لا ثبوت فيها لأنها تمثل المراهقة الفكرية، وعدم الاستقرار الوجداني، حيث بان ذلك من رأي باحث أجرى مقارنة على عينات من الداخلين في الإسلام في أميركا، والتحولين إلى النصرانية في أحدى دول شرق آسيا، وقد أرجع الأسباب إلى خمس نقاط من خصائص هذا الدين، ذكرها له المهددون وهي :

• بساطة الإسلام، ومخاطبته للعقل، ومسايرته للمنطق، وتركيزه على الاخوة بين الناس، واهتمامه بالحياة الدنيا، إلى جانب الآخرة، وعدم وجود رجال دين أو كهنوت فيه...

هذه الأساليب وغيرها دعت هؤلاء لاعتناق الإسلام، والانجذاب إليه، والقناعة به ديناً، يخاطب الوجودان، وتطمئن إليه الأفئدة.

كانت هذه الآراء تمثل بحثاً علمياً، لينال به صاحبه رسالة الدكتوراه من إحدى الجامعات الأمريكية، وقد سئل عن آرائه هذه لكي يحدد الفرق بين المهددين حديثاً للإسلام وبين المهددين في عصور الإسلام المزدهرة، حسبما بان له من الشريحة التي أجرى عليها دراسته، قال: الفرق كبير حيث إن المحدثين دخلوا الإسلام من خلال عملية تغيير ذاتية داخلية، من غير أي تأثير خارجي، بينما فعل الأوائل ذلك بتغيير من المؤسسات في ذلك العهد، كالحكم والنظام الاجتماعي، والنظام الاقتصادي وغيرها، ولعل هذا مما يعطي قناعة بأن هذه الدراسة تنبئ عن دور الإسلام في عصر التقدم العلمي، والانفتاحات التكنولوجية والخبرية الدقيقة، إلى النهاية لأذهان متذبذبة لقناعتها، وأفئدة خالية من الإيمان لتعبيتها، وبالرغم من أن الإسلام كان أصغر الأدبان في نظر بعض الباحثين الغربيين، وأقلها اتباعاً، إلا أنه نفذ إلى الحضارة المادية الغربية، فاحتل مكاناً بارزاً في عقول الناظرين إليها كرمز للتفوق العلمي لفئة من البشر دون فئة أخرى، وأقنع المهددين بالميدان العلمي لأهمية الاطمئنان الوجداني بالدين، وملء القلوب بعقيدة الإيمان، التي هي خير موجه للمسيرة، وأكبر طاقة تعين على القناعة الفكرية، والاطمئنان على النتائج العلمية، كجهد بشري يجب المحافظة عليه.

بموجبها من رق قلبه، وأراد الله هدايته، ومنها ما ترك آثاراً انعكاسية، وحرك العداوات وكوامن النفوس، وأكثر ما الف في الرد على النصارى، وبين ما في دينهم من مداخل، كان نتيجة لحوار فكري، وصراع في النقاش والمحاورة، وما أكثر مانجد في زوايا المكتبة العربية والإسلامية ما طبع وما لم يطبع من ذلك، وبالمثل نجد عند أولائك نماذج وردوداً، نتيجة لما يتفاعل في نفوسهم، ولكنه يطرح من جانب ما يريدون الصاقه بالإسلام من تراجع أمامهم، ونموذج ذلك قصة الجندي المسلم الذي أسره الروم في عهد عمر بن الخطاب، ورفض الاستجابة لرئيسهم ولو بتقبيل رأسه ليطلقه، وتحمل التهديد من أجل دينه، فإن هذه القصة جاءت في مصادرهم، بغير ما جاءت به المصادر الإسلامية.

كما جاء في كتاب تركستان تأليف فاسيلي فلاديمير، ترجمه صلاح الدين عثمان نقلأ عن الجوز جاني أن كويوك قد ناصب الإسلام، وأصدر قراراً بخس جميع المسلمين وجهم، وعقب الله كاتبه الذي كان يحمل القرار بأن هاجمه كلب شرس فمزقه شر ممزق فخاف، كويوك، لكن النصارى أغروه بأن يدعوا إماماً معروفاً من المسلمين اسمه: نور الدين الخوارزمي للمناظرة.. ولما أفحهم الخوارزمي بالحججة القاطعة في مناظرة ذكرها المؤلف.. أوقفوا هذه المناظرة، وطلبو من كويوك أن يأمر هذا الإمام باقامة شعائر الصلاة جماعة، فدعى الخوارزمي أحد المسلمين ليصل إلى معه، وشرع في الصلاة، لكن النصارى جهدوا بكافة الوسائل في إعاقة صلاتهما وافسادها، فانهالوا عليهما ضرباً عند السجود، ودقوا رأسها بالأرض، ولكنهم لم يقطعوا صلاتها، بل استمرا فيها، وبعد أن سلموا انصروا بهدوء، لكن الله جل وعلا انتقم من الفاعل، كما حصل من قبل لحامل الكتاب الجائر بالنسبة للMuslimين، إذ في نفس الليلة هلك كويوك جراء ما جنت يده في حق الإمام الخوارزمي وصاحبته، وفي اليوم التالي اعتذر أولاد كويوك لإمام الخوارزمي على ما حصل، وجهوا في ترضيته والوعد بعدم إيذاء المسلمين.

إنها جنود خفية يسوقها الله جل وعلا للحماية جنوده في الحق، وعباده المخلصين، وعد صادق منه جل وعلا بالنصر والتأييد، كما قال سبحانه: «إِنَّ الَّذِينَ رَسَلْنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُولُونَ إِنَّمَا يَقُولُونَ الْحَقَّ» (غافر، الآية: ٥١) ذلك لأن النيمة الصالحة، والصدق مع الله السر والعلن، من أسباب التوفيق، وإعانة الله وتأييده.

كلوا وشربوا ولا تصرفوا

دكتور توفيق محمد شاهين

الطعام من ضروريات الحياة ومتعبها في نفس الوقت، والانسان يأكل ليعيش، وعدم الدقة في تنظيم الأكل والشراب، وعدم رعاية مقاديرها الكافية يؤدي إلى خطرين:

- خطر الهرزال والسقم والضعف في الذهن، وكلال الفكر.
- خطر السمنة والبدانة التي هي مشكلة العصر الحديث، والتقدم التقني والتكنولوجي.

وكلا الخطرين شر وبيل يؤدي إلى أمراض فتاكة، مثل: السل والارهاق والتعب المزمن، وعدم القدرة على التركيز والدقة والسرعة في الفهم والتعلم، والنظرة التشاورية في الحياة، كما تؤدي السمنة إلى الذبحة الصدرية، والأمراض المزمنة، والنفسية المزقة، وعدم اللياقة البدنية، والتبرم من نظرات الآخرين، وشفاق الأهل والمحبين.

وكل هذا البلاء نابع من أمرتين: الشراهة في الأكل والشراب بمقادير زائدة تصرف فيها، أو الحرمان أو البخل والتقتير.. وخير الأمور الوسط: فلا إفراط ولا تفريط وحرمان.

وفي العصر الذي نعيش فيه نرى في وسائل الاعلام الموت البطيء والسرريع لأناس لا يجدون القوت، وآخرين يمرضون من التخمة والسمنة المفرطة، فيسعون سرعاً أو في بطء نحو حتفهم أو تنفيص حياتهم حتى الموت البطيء.

كما نشاهد في وسائل الاعلام التفنن الزائد في اعداد الطعام وتتنوع أصنافه ووجباته، وحفظه وتعليقه وإعداده، بما يغرى الأكول، ويؤلم المحروم، ويزيد من حسرة المعوز والبائس.

كلوا و اشربوا ولا تسرفوا

تغمضوا فيه ، واعلوا: أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ . الشَّيْطَانُ يَعْدُكُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكَ بِالْفَحْشَاءِ ، وَاللَّهُ يَعْدُكَ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا . وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ . يُؤْتِي الْحَكْمَةَ مِنْ يَشَاءُ . وَمَنْ يُؤْتِ الْحَكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا . وَمَا يُذَكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ» (البقرة الآية: ٢٦٧-٢٦٩).

وماملا ابن آدم شر من بطنه، ولكن الأكل والشرب ضرورة، وهو آكل لا محالة ليعيش ، فعليينا إذن بهدى نبينا : ثلث المعدة لطعامه ، وثلثها لشرابه ، وثلثها الأخير لتنفسه الهواء .. لن شاء أن يحيا صحيحاً سوياً.

وللمشاركة في الطعام والاجتماع عليه فضل وبركة . وتألف ومحبة . وتعارف وصفاء ومودة . يقول الرسول ﷺ : « طعام الواحد يكفي الاثنين . وطعم الاثنين يكفي الأربعة . وطعم الأربعة يكفي الثمانية » رواه مسلم عن جابر، وروى عن عمر بن الخطاب حديث الرسول الأكرم : « اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه » ولنحذر من إدخال الطعام على الطعام فانه مجلبة السقام .

وروى أن أصحاب النبي ﷺ قالوا له يوماً : يا رسول الله ، إننا نأكل ولا نشب . قال : « لعلكم تفترقون » قالوا : نعم . قال : « فاجتمعوا على طعامكم ، واذكروا اسم الله عليه ، يبارك لكم فيه » سنن أبي داؤد عن وحشى بن حرب ، عن أبيه عن جده .

والحمد لله ، والدعاء بعد الدعاء ، أبسط مظاهر شكر النعمة ، فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ أنه قال : « من أطع الله الطعام فليقل : اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه ، ومن سقاك الله لنا ، فليقل : اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه » [الترمذى وأبوداؤد] .

إن التقتير في الطعام خطير كبير ، والافراط في الطعام ضرر بليغ .. ومرجع الأول البخل الذي لا دوائه . ومرجع الثاني : رد فعل لعوامل نفسية ، أو ضعف إرادة أو تخاذل عن كبح الشهية ، واتباع النفس لهواها . وعدم استقبال النعمة في الطعام بالبسملة ، والدعاء عند الشبع بحمد الله وشكره .

رزقنا الله العلم النافع ، والقناعة الواقية . وكرم النفس والخلق والمال . والعمل الصالح والاقتداء بالتى هي أحسن .

كما تنوّعت الأدوية الفاتحة للشهية ، أو المعدة للرجيم . لعلاج ظاهرة السمنة ، وكثرة المعاهد المتخصصة في ذلك ، والمتخصصون بما يعالج هذه الظواهر . وقد يفيد وقد لا يفيد .

وإذا شئنا أن نحيا حياة طيبة ، فيها الصحة والسعادة ، والرحمة والمودة ، والألفة والمحبة ، والهدوء والاطمئنان . فعليينا باتباع النظم الإسلامية في الطعام والشراب ، والقواعد التي قعدها ذلك . فنسلك سبيل الرشد الإنساني . ونتجنب عوامل الانحراف والشطط . وتسيير حلتنا في الحياة بأمن وأمان . ولو تراحم الناس ما كان بينهم جائع ولا شقي . ولا جاهل ولا محروم . ولنعني جيداً : أن المعدة بيت الداء ، والحمية رأس الدواء .

وللانسان في هذه الحياة : لا يجوع فيها ولا يعرى ، ولا يظمأ فيها ولا يضحي ، (أي لا يصبه حر الشمس) ولا يضره برد الدنيا . وللتفني التمتع بطيبات الحياة من غير سرف ولا مخيلة ولا سفة .

وهذا شأن الإسلام في كل شيء (الاضرار والاضرار) : فجعل للفقير حقاً معلوماً في أموال الأغنياء . والقادرين والخيرين . وأباح الطيبات في شكل متوازن سوى معتدل : لنستمع في حفوة إلى وحى السماء إلى رسولنا الكريم : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا . خالصة يوم القيمة . كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » (الأعراف ، الآية: ٢٢) .

وبذلك يحصل الإنسان على حاجته الأساسية والضرورية . ويتمتع بطيبات ما أجل الله له . فتكلل له متعة ولياقته البدنية والذهنية . وقدرته على العمل . والحفاظ على الصحة . وأداء رسالته في الحياة . فلا يكون نهماً أكولاً لا يشع كأنه يأكل في سبعة أيام .. ولا يكون بائساً محروماً ، ولا يكون بخيلاً شيئاً يجمع لغيره ، ويكنز لورثته . ولا يدرى ما هم صانعون بما ترك لهم . ولم يقدم شيئاً يلقاه أمامه .

وعلى الإنسان أن يتحري الحلال الطيب للأكله ومشربه . وإنفاقه . حتى يؤدي شكر النعمة للنعم . ويستمتع بما صنع لنفسه وغيره . يقول الله تعالى : « كلوا من طيبات ما رزقناكم ، ولا تطفوا فيه . فيحل عليكم غضبي . ومن يحل علىه غضبي فقد هو » (سورة طه ، الآية: ٨١) .

ويقول سبحانه : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِنْ طَيْبَاتِ مَا كَسَبُوكُمْ . وَمَا أَخْرَجْنَاكُمْ مِنَ الْأَرْضِ . وَلَا تَيْمِنُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تَنْفَقُونَ . وَلَسْتُمْ بِآخْذِيهِ إِلَّا أَنْ

« العلاقة بين الحضارة والديانة »

الرابعة : وعلى أي أساس تقيم هذه الحضارة علاقة الإنسان بالانسان في مختلف مواقعه في الحياة ؟ وعلى أي نحو (قد) تؤسس علاقاته بأسرته وجيانته وأصدقائه وزملائه في العمل ومواطنه وبمن هم أرفع منه في الدرجة أو أدنى وبالسائلين على نهج هذه الحضارة أو المخالفين لها (وغير المتزمن بها) ؟ وماذا صفت له هذه الحضارة من حقوق وما أقيمت عليه من واجبات ؟ وما مقدار ما منحته من حرية وما مدى ما فرضت عليه من قيود .

وهذا كلّه متضمن بطبيعة الحال لكل ما يتعلق بالأخلاق والإجتماع والقانون والسياسة وال العلاقات الدولية من المشاكل والقضايا . على أي أسلوب تنظم هذه الحضارة شئون الأسرة والمجتمع والحكومة .
نأتي بعدها في بيان تميز الحضارات باعتبار أصل المنشأ - تنقسم الحضارات من حيث فكرتها الأساسية إلى قسمين رئيسيين :
١ - الحضارات المادية أو الحضارات الحسية .
٢ - الحضارات الدينية .

الحضارات المادية أو الدينوية هي التي تخلو من أي صلة أو علاقة بالدين فلا وجود فيها إله أو آلهة أو رسول أو كتب سماوية . وليس فيها تعليم يقيم سيرة الإنسان على أساس من الروحانية والأخلاق وإنما هي أمور دنيوية محضة وهذه الحضارات تنشئ في أذهان الناس (تصور الحياة) تصور ماديًّا ممحضًا للحياة . وهي وبالتالي تقدم أمام الإنسان في حركته وجهه وسعيه غاية لا حصول التفوق لذاته أو لقومه . والناس هم الذين يستنون لهذه الحضارات قوانينها ونظمها ويمجدونها ويحاولون حصر الرقي في الطرق والوسائل المادية المكتسبة بالحواس والعقل ولا دخل في ذلك لوعي أو دين .

والحضارات المادية تضع بناءًها على العلوم والعقائد التي تخرج إلى حيز الوجود بإختراع ذهن الإنسان أو بادر إلى حواسه دون هداية وتوجيه من خالقه . لست بحث الآن عن درجة هذه العلوم والعقائد ومعيار الحق ولكن من وجهة النظر العبراني فقط نستطيع القول أن في أساسها عيباً غير محصور وتقائص غير معدودة ومن الواضح أن البنيان لا يكون محكماؤياً إذا اقام على أساس ضعيف .
ونذكر فيما يلى أهم العيوب الأساسية في هذه الحضارات :

١ - هذه الحضارات لا تقوى على الحياة طويلاً لأنها ليس فيها الاستعداد للتوسيع إلا

دراسات وأبحاث :

« العلاقة بين الحضارة والديانة »

دكتور أختر سعيد الصديقي
أستاذ في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة كراتشي - باكستان

الفكرة الأساسية التي تقوم عليها الحضارة تتوقف على القضايا الأربع الآتية :
الأولى : ما هو تصور الحضارة نحو الحياة ؟ والمنزلة التي تضع الإنسان فيها ؟ وما قيمة الدنيا في نظرها ؟ وما علاقة الإنسان بهذه الدنيا ؟ وإذا كان له أن ينتفع بهذه الحياة فعلى أي وجه ؟

وهذا التصور للحياة على درجة كبيرة من الأهمية وله تأثير بالغ في كل أعمال الإنسان و بتغييره هذا التصور تتبدل نوعية الحضارة رأساً على عقب .

الثانية : ما هي غاية الحياة ؟ ما غاية الإنسان في هذه الدنيا ؟ لأي غرض كل هذا النضال والصراع وهذا الجهد والكدح والتعب ؟ ما هو الشيء المنشود الذي يطمع إليه الإنسان ببصره ؟ ما الهدف الذي على الإنسان أن لا يغفل عنه في لحظات حياته ؟

وهذا السؤال عن غاية الحياة هو الذي يعين وجهة حياة الإنسان العملية وسيرها وعلى ضوئها يسلك الإنسان ما يسلكه في حياته من طرق للعمل ووسائل للتفويق والنجاح .

الثالثة : ما هي الأفكار والعقائد الأساسية التي تؤسس عليها سيرة الإنسان وسلوكه في هذه الدنيا ؟ وما القالب الذي تفرغ فيه عقلية الإنسان ؟ وما هي الآراء والمشاعر والأحساس التي تلقاها في روحه ورسخها في ذهنه ؟ وما هي الحوافز والعوامل التي تحويها الحضرة الإنسان على اختيار لون مخصوص في حياته العملية تابع لقواه الفكرية .

والروح الذي يحرك جوارح الإنسان إنما يفيض من قلبه وذهنه . فالحقيقة أن قواها العملية لا تتحرك إلا منفعة بالعقيدة أو الفكرة الأساسية المستولية على قلبه وذهنه . ولا تنشأ فيه العواطف والنزوات والأحساس والداعي إلا وفقاً للقالب المفرغ فيه ذهنه ولا تعمل أعضاؤه وجوارحه إلا تبعاً لهذه العواطف والنزوات والأحساس والداعي ونحوه على حكمها .

«العلاقة بين الحضارة والمادية»

بالحرية التامة في تغييره وتحريفه أو في تضييق دائرة أو توسيعها على أنفسهم. ويزداد شعورهم بأن القيود الخلقيّة القديمة تضيق عليهم وإذا أحس عامة الناس بهذه القيود كذلك فإن مارسوا ضغطاً يرغم القانون على التخفيف من وطأته عليهم فلا تلبث الأخلاق إلا وتتخلى عن قيودها شيئاً فشيئاً، وحينذاك لا بد أن يسرى في كل المجتمع إنحلال خلقي عام على وجه خطير جداً، وإن الإنحلال الخلقي إذا ظهرت آثاره المملاكة في مجتمع لا يمكن وقف تياره بوفرة المال ولا بسطوة الحكومة ولا بقوة الوسائل المادية ولا بتدابير العلم والعقل. إنه الدودة التي تنخر بنيان عمارة الحضارة والمدنية حتى يتتصدع من القواعد، ولتفصيل المفاسد ومعايدها لاحاجة إلى كلام كثير وبحث طويل، أفلانشاهداليومأنموجاتالفساد الخلقي والفحش والعري أصبحت أمراً مألوفاً سائداً في الحضارات الأوروبية المادية التي تعتبر أرقى الحضارات في نظر العالم.

الرابع: الحضارات المادية بتجربتها عن أمور دينية لا تعرض أمام الإنسان لسعيه وجهه إلا غاية مادية بحيث يجتهد كل واحد للتفوق والترفع على الآخر في الدنيا، وهذه الغاية للتفوق والترفع تخلق في قلوبهم طليباً للغلبة والسيطرة السياسية على سائر من في الأرض بحسب الثروة وكثرة المال بصرف النظر عما إذا كانت هذه الرغبة تتحقق بفتح البلاد والسيطرة على وسائلها أو بالاستيلاء على أسواقها وصناعاتها وهذه الرغبة تقودهم إلى مسابقة في مظاهر التقدم العمراني في العلوم والأداب والفنون أو لا بتغاء العظمة والأبهة في آثار المدنية والحضارة.

وهذه الغاية في ظاهر الأمر ليست مكرورة ولكن بنظر عميق في باطن الأمر يثبت أنها تحدث المسابقة والمنافسة والصراع بين أفراد المجتمع وأجلها يجتهد كل فرد أن يتغلب على سائر أبناء مجتمعه ويغوقهم في الثروة والحكومة والسيادة والقوة والبطش ومظاهر الترف والنعم والدعة والرفاهية، ويحكم القبض على مفاتيح الرزق ويحتكر أكبر قدر ممكن من وسائل معيشتهم وموارد ثروتهم حتى تكون الرغبات والملذات والمنافع خالصة له ولا تكون الآلام والضار والخسائر إلّا لغيره، ولا تظهر نهاية لتل هنالطماع ولا حد يقف الفرد عندة، هكذا يتفسى في المجتمع كل اضطراب دائم وقلقاً عاماً، لا سكون فيها ولا قرار وهذه الكيفية عندما تحدث بين أبناء مجتمع فكل بيت من بيته وكل سوق من أسواقه، تنقلب إلى ميدان للصراع والاحتباك ويتشاشي الأمن والسلام، والبهجة والسرور، والسعادة النفسية

قليلاً ونظام هذه الحضارة كالزئبق فانها بدلاً من أن تسير في خط مستقيم نراها تتراجعاً وتذبذب بين الصعود والهبوط وبين الارتفاع، الانحطاط، ونتيجة ذلك أن تموت الحضارة ويزول أثرها - وذلك يرجع إلى أن منهاج الفكر الذي تؤسس عليه الحضارات مأخوذه من المفكرين والحكماء والخبراء والعلماء الذين يستولون بسبب من الأسباب المختلفة على عقلية مجتمع، ويعتمد الناس على خبرتهم ومهاراتهم في مختلف شعب الحياة وليس من الضروري فيه أن تجد وحدة الفكر بينهم وذلك لأن عددهم فوق الحصر وكل منهم مختلف عن غيره في طريق فكره، لكل منهم طريق خاص للتفكير وزاوية مختلفة للنظر، ويتركب من هذه العناصر ما لا يحصى من الخلافات الشديدة التي تزلزل بنيانها، ومن الطبيعي أيضاً أن أي مجتمع لا يظل متاثراً في كل أدواره وعصوره بأفكار أولئك الحكماء والمفكرين وتتغير أثرهم مع تغير الأدوار والعصور فهذا التغير الذي يقع فيها مراراً بعد مرارة يتبدل به شكل الحضارة ونوعيتها رأساً على عقب.

الثاني: لا تكون هذه الحضارات على جانب من القداسة عند الناس لأنها تخلو عن أمور دينية ولا تكون كلها إلا نتيجة للاجتهداد الإنساني، فهذا الإحساس بأن نظام الحضارة والمدنية كلها وتصوراتها الأساسية جميعها حاصلة من اختيار الذهن الإنساني يقع في قلوب الناس ارتياحاً وتذبذباً ويعلم الناس أن العناصر الأساسية لحضارتهم فيها إمكان للخطأ والنقص وأنها في حاجة إلى الاصلاح والتعديل. ثم إن التجارب العملية هي الأخرى التي لا تزال تثبت فيها شيئاً فشيئاً كثيراً من مكامن الضعف والنقص والخطأ، فالناس لا يتکيفون في اتباع هذه الحضارة بكيفية الإيمان والأخلاق واليقين وبذلك تحدث في المجتمع كله حالة الارتياح والتذبذب وهكذا ففي طريق الفكر أو أي مبدأ من مبادئ القانون لا نجد في وجهه مجالاً لسيطرته عليها أو لقيم نظام المدنية على أساس قوي بالمعنى الصحيح.

الثالث: الحضارات المادية أو الحسية خالية من عنصر الدين والروح والخلق فأصحابها بتجربتهم عن هذه العناصر لا تمضي بهم القافلة غير مدة يسيرة حتى ينفتح عليهم باب المفاسد الخلقيّة من كل نوع، وأن القانون ليس من وظيفته أن ينشئي البائع الخلقي في قلوب الناس أو يقيم لهم ميزاناً خلقياً بالمعنى الصحيح، وليس فيه من القوّة ما يستطيع أن يحافظ به على أخلاق الناس في حياتهم الشخصية والاجتماعية، لأن دائرة عمله وتأثيره وسلطته ضيقة محدودة، وفي تلك الحالة بصفة خاصة إذا كان الناس هم الذين يضعون القانون لأنفسهم فهم بالطبع يتمتعون

« العلاقة بين الحضارة والديانة »

حياتهم الشخصية والاجتماعية والروحية والخلقية، ويمكننا أن نمثل لذلك بتلك العتقدات التي قدمتها ديانات الشرك عن آلهتها وأربابها ورسلها فالصفات التي وصفوهم بها والأفعال التي نسبوها إليهم والأساطير التي اخترعوها عنهم يأبى العقل السليم أن يصدقها.

والمجتمع الذي تسود فيه هذه الحضارة التي أقيمت أساسها على مثل هذه الأوهام والخرافات الباطلة لا يكون صالحًا ينال في الدنيا نوعاً من التقدم والرقي والكمال. فهذه الظنون والأوهام الباطلة تؤثر على الأذهان تأثيراً سيناً بحيث يشل أحسن ما فيهم من قوى العمل والجد والنشاط فلا هو يحقق نوعاً من الارتفاع في معنوياته، ولأن الشدة والصلابة في عزائمه ولا من السعة في نظره، ولأن السلام في ذهنه، ولأن الجرأة في قلبه، وذلك ما يسبب لها آخر الأمر الذل والهوان والخضوع والنكبة والمسكتة والتابعية في الدنيا.

وإذا انفتحت لجتماع مثل هذا (الأسباب أخرى) سبل التقدم والرقي في الدنيا فإنه على قدر ما يحرز من التقدم والرقي في ميادين العلم والعقل، يزول عن قلوب أهلها اعتقاد بالآلهتهم وأربابهم وهدايتهم، ومع أنه في بداية الأمر يبذل أقصى جهوده للدفاع عن عقائده، رعاية لصلحة نظامه الاجتماعي إلا أن تمرد العقل والعلم، على هذه العقائد يكون من الشدة حتى لا يبقى لها أي استيلاء ولا سلطان على أذهان أكثر أفراد المجتمع وإنما هي طائفة قليلة منهم هي التي تترك لتبقى مؤمنة بهذه العقائد صدقاؤاً وأخلاصاً أو حرفه وصناعة، أما بقية الأفراد فإنها يستولى على أذهانهم عقائد أخرى وتحيط بهم آخر الأمر الحضارة المادية.

والعيوب الثاني الذي يظهر في الحضارات الدينية أن الفكرة التي تؤسس عليها الحضارة كلها تكون مشتملة على أمور روحانية فقط، ولا تكون روحانيتها جديرة أن تخرج إلى حيز الوجود نظاماً أخلاقياً من الدرجة الأولى، ولا تكون أخلاقها جديرة بأن تعداد الإنسان لا حراز الرقي والتقدم والسعادة والرفاهية في حياته الدنيا.

فهذه الحضارات التي لا تعدل الفرد لا حراز الرقي والتقدم في حياته الدنيا، إنما يبقى أثراً لها محدوداً في الحياة الروحية والخلقية فقط، ولا يجاوزها يحال من الأحوال إلى الحياة المادية، فمثل هذه الحضارة لا يخلو من إحدى حالتين (على اعتبار نتائجها). الأولى: أن تغلق هذه الحضارة سبيل الرقي والتقدم في الدنيا على أهلها. أو يسير الأفراد في سبيل الرقي والتقدم ولا يبقى تأثير الحضارة عليهم.

والطمأنينة القلبية مهمات كدس لديه من القنوات المقتصرة من الذهب والفضة. وفوق هذا ذاك نقول إن التقدم المادي إذا لم يكن معه نصيب من الروحانية لا يستطيع أن يطمئن الإنسان أو يجلب لنفسه السعادة والقناعة، لأن الحصول على الذات الحسنية ليس إلا غاية حيوانية بحتة.

ولو قيل إننا نختار هذه الغاية للمجتمع كله وليس للأفراد، ونقررها كافية اجتماعية، وفي سبيل تحقيقها على كل فرد أن يتناهى غايته الشخصية ويجهد لرفعه قومه ورقي مجتمعه، وهذه نزعة القومية التي آمنت بها بعض المجتمعات البشرية ودافعوا عنها بكل إخلاص وحماسة حتى إن كثيراً من الشعوب والأمم قد طاطأت رأسها أمام صنم القومية.

وهذا التصور يجذب النظر والقلب في ظاهر أمره وما هو في الحقيقة إلا خداعاً للعقل وإغراء للنظر وهذه النزعة هي التي تحدث بين الأمم الشقاء وهي الصاعقة التي تحرق مالديها من أسباب الأمن والسلام كلها وتمزق كيان المجتمع الإنساني كله، فكل أمة تسعى إلى تحقيق غاية التفوق والاستعلاء لنفسها وتبذل أقصى ما عندها من الجهد والقوى لبلوغها وتحقيقها، فتكون نتيجة ذلك أن هذه الأمم يقوم بينها صراع عنيف في مجالات السياسة والاقتصاد وتنشب فيها حروب دامية للتنافس والتزاحر حتى ليتعذر على الأفراد أن ينالوا شيئاً من الأمن والسلام والسعادة النفسية والطمأنينة القلبية وسط المشاكل والقلق والاضطراب، وهذا هو عين ما عليه الوضع في البلاد الغربية اليوم، فاننا نشاهد اليوم في «أوربا» أن نزعة القومية هي التي وصلت بأرقى حضارة في العالم إلى شفا حفرة من الشقاء، وأن الخوف من ظهور عوائقها أمر تقشعر منه جلد أهل الأرض اليوم، (من أقصاها إلى أقصاها).

أما الحضارات الدينية فتعتمد أساسها على الأفكار والعقائد الدينية وهي تنبع بالانسان على أساس روحية وخلقية وتعترف بوجود الله أو آلله تضفي عليها صفات مخصوصة ثم تؤمنها، وهذه الحضارات أيضاً لا تخلي عن عيوب مهمة ونقائص مهلاكة فأول عيب يظهر فيها بأن تكون الأفكار والعقائد التي تعتمد عليها الحضارة غير صالحة للتصديق والاذعان من الوجهة العقلية بأن تكون مشتملة على الأوهام والظنون أو كانت الأوهام أكثر من الحقائق والثوابت، فإن أثراها على ذهن الانسان أن يكون خاضعاً لسلطان الجهل والغباء والحمامة، وبتقدم الانسان في مدارج الارتفاع العقلي يتحطم طلسم الأوهام والخرافات الباطلة وتنزلزل أساس الحضارة وتتداعى شيئاً فشيئاً وبعد ذلك ينفصم عرى النظام الذي أقيمت على أساسه سيرة الأفراد في

و عند ما يزداد انهمك الأفراد في السعي والجهد للتقدم في الحياة الدنيا، لا بد أن تتحرر أخلاقهم و روحانيتهم أيضاً من سلطان العقائد الدينية التي تؤسس عليها الحضارة وأحسن مثال على هذا في الزمان القديم الحضارة البوذية في اليابان الحضارة المسيحية الراهبانية في أوروبا، لما كان أهلها راسخين أقوياء في معتقداتهم الدينية كانوا على أسواء ما يكون من أدوار الانحطاط والتخلف، ولما أحرزوا أنفسهم الرقى والتقدّم في حياتهم العملية والعقلية والمادية ماعدا واؤمنين بمعتقداتهم إلا اسماً.

وهذا فرق عظيم في التاريخ بين معتقدات الإسلام و معتقدات الديانات الأخرى في العالم، أما المسلمين ف كانوا أقوىاء في إيمانهم بمعتقداتهم لما كانوا أرقى أمم الأرض تقدماً و ازدهاراً و مجدًا، وما دب بيب الضعف في إيمانهم إلا بعد أن تخلفوا في ميادين العلم والعقل و ضعفوا في صراعهم للرقة الدينوي، و تحكمت فيهم واستولت عليهم أقوام أجنبية، و هم في هذا العصر على أسوأ ما يكون من أدوار انحطاطهم، و هم مبتلون بابتلاء شديدأً بمرض ضعف الإيمان، وقد كانوا على أحسن ما يكون من أدوار تقدمهم و رقيهم قبل ألف سنة و كانوا راسخين أقوىاء بمعتقداتهم الدينية وهذا البحث الذي سقناه نستنتج منه هذه النتائج التالية.

النتيجة الأولى: لكل حضارة فكرة أساسية تؤسس عليها الحضارة.

النتيجة الثانية: الحضارات المادية أو الحسية أو الدينية فقط لا تخلو من العيوب والعلل في أساسها بسبب عدم وجود العناصر الدينية، وهذه العيوب والعلل تنخر في بنائها.

النتيجة الثالثة: الحضارات الدينية لا تخلو من العيوب والعلل بسبب وجود الأوهام والخرافات الباطلة أو بسبب تحديد المعتقدات في الحياة الروحية فقط وتبقى بقية شعب الحياة مفتوحة خالية من أي عقيدة أو فكرة أساسية.

فلا تستطيع أن نقول أن نجاح الحضارات الدينية رهين بشرطين:
١- أن تكون الفكرة التي تؤسس عليها الحضارة صالحة للتصديق والاذعان من الوجهة العقلية.

٢- أن تكون الفكرة جديرة بأن تعدل الفرد والمجتمع لحرار التقدم والسعادة في حياته المادية أيضاً مع حياته الروحية.

والخلاصة هي: أن الحضارة تتكون من العناصر الدينية والمعتقدات الصالحة السليمة وهنالك تجدر بأن تسمى حضارة إنسانية عالية، وتشق طريق السعادة للحياة والكون والانسان.

الجانب التاريخي لروايات جرجي زيدان

[الحلقة الثالثة]

بعم : الاستاذ منصور احمد خان

محاضر في قسم اللغة العربية
المعهد الرئيسي للغة الانجليزية و اللغات الأجنبية - حيدرآباد

ثم نلتقي بجرجي زيدان في رواية له سماها «فتح الأندلس» ونلاحظ على المؤلف في بداية الأمر أنه أخطأ في تسمية الرواية خطأ فاحشاً بما أنها تبحث عن بواطن سقوط طليطلة الداخلية، بدلاً من أن تربط هذا الفتح بحركة الفتح الإسلامي بأكملها، ثم تبحث عن حواجز المسلمين التي قاموا من أجلها بفتح تلك البلاد. على هذا النحو، ولكن أحسن لو سماها زيدان «نحو سقوط طليطلة» عوضاً عن «فتح الأندلس» وينسب المؤلف هذا الفتح إلى تهتك الملك رودريك وانغماسه في المذلات إلى أقصى حد، ثم إلى المخاصمة بين الملك وبين أولاد الملك السابق، ثم إلى اضطهاد الحكام اليهود، ثم إلى لامبالاة الملك وعدم اكتراثه لخبر دخول المسلمين حدود الأندلس، بحيث تدهورت علاقاته مع قائد جنده (١) ولا شك أن بعض ما ذكره زيدان من أسباب السقوط صحيح، ولكنه باللغ في بيان بعضها مبالغة ظاهرة، ومن مبالغته عدم عناية رودريك بنزول المسلمين أراضيه، والحق أنه إذا بلغه خبر قدوم المسلمين وكان غائباً في غزاته، عظم عليه الأمر، فرجع فور وصول الخبر وأخذ عذرته وحشد جيشاً كبيراً بلغ عدده مائة ألف، ثم لوصح خروج اليهود على الملك وتحريضهم ولدى الملك السابق على الانضمام إلى المسلمين، وقد استخف زيدان ببسالة المسلمين وشجاعتهم الفاقدة النظير، بحيث قاتلوا عدوهم في دياره باثنى عشر ألف جندي وعندما مائة ألف جندي (٢).

وبعد تقليل أهمية الإسلام وتشويه سمعة النبي ﷺ وأتباعه، يندفع

(١) فتح الأندلس، ص/٥٠-٢٩-٧٩-١٢٢-١٢٥.

(٢) الكامل في التاريخ، ج/٤-ص/١٢٢-١٢٣.

الجانب التاريخي لروايات جرجي زيدان

» و «من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيمة أناوهكذا، وضم أصحابه» و «أن النبي قال لسرقة بن جعشن، لا أدللك على أعظم الصدقة أو من أعظم الصدقة، قال بلى يارسول الله، قال ابنتك المردودة إليك، ليس لها كا... بغيرك (١)» ثم ولم يكن الإسلام عقيدة محبة ينقصها الإقدام على الأمور، إنما هو نظام شامل يضمن الرخاء الاقتصادي ورفاهيته فوق إرشاد المجتمع نحو الصلاح والخير، وقد نال هدفه المنشود حقاً في مجال الاقتصاد بداخل نظام اقتصادي جديد مؤسس على الزراعة والعشر، وتقسيم الميراث بين المرأة والرجل بنسبة واحد إلى اثنين، وتحريم الربا وما إلى ذلك.

وأما الحجاب فقد تجاهل زيدان كونه من مقتضيات الإسلام بعينه، والذي يهدف إليه الإسلام من خلاله هو تهذيب المجتمع وتشريفه بأكمله، ولا شك أن قوله ناتج من حقه على الإسلام ومبادئه لأن لا يوجد غموض ولا إبهام في أحكام القرآن فيما يتعلق بالحجاب فلما حقيقة في قوله أن القرآن يهدف إلى رفع الحجاب أكثر منه إلى ارتدائه، بما أننا نجد كثيرة من الآيات التي يأمر بها الله النساء المؤمنات بالتحجب، ومنها «إيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين، وكان الله غفوراً رحيماً» (٢).

ومن عادة زيدان أن يقحم في أي فرع من فروع العلوم الإسلامية دون المعرفة بمبادئه، بحيث تحدث منه أخطاء فادحة مضحكة، وقد بين الأستاذ الجليل شibli النعmani جهله الفرق بين الرأي والاعتزال على النحو التالي: «أنظر إلى ما يبلغ به حال المؤلف في جهله بالمعارف الإسلامية حتى إنه يفترن بين الاعتزال والرأي، ويعدهما من جنس واحد ولم يدرك السكين الارابط بينهما، فإن الاعتزال أحد المذاهب الكلامية والرأي والقياس أحد أصول الفقه، ومعظم أصحاب الرأي والقياس بل كلهم... كانوا انقسموا على الاعتزال وكانوا يعدون المعتزلة من أهل الأهواء والضلالة» (٢).

ثم وكان الحجاب من عدة إصلاحات أدخلتها الإسلام في المجتمع الإسلامي الجديد ليذهب الله عنهم دنس الجاهلية وأرجاسها، ويعلهم العاشرة المحشمة الرزينة المهدية تهذيباً عالياً لا تساويه حضارة من حضاراتبني آدم، ونجد بعض هذه

زيدان في تحريف المفاهيم الإسلامية والطعن في كبار المسلمين من الصحابة والشيوخ والعلماء والفقهاء، مستندًا إلى خياله «الخصب» دون أي شاهد من الشواهد التاريخية، فإنه يرى أن صعصعة بن ناجية جد الفرزدق الشاعر الشهير هو الذي أبطل الوأد من مجهوداته، ثم يرى أن المرأة الجاهلية كانت عظيمة الشأن بالمقارنة إلى التي تنشأ خلف «أغلال» الحجاب، ويستمر زيدان بهاجم الحجاب باستدلالاته العجيبة مرة وباستشهاده الكاذب الخادع بالقرآن الكريم مرة أخرى، قوله: فالحجاب الضيق على نحو ما هو شائع في العائلات الإسلامية بالشرق سببه سوء ظن الرجل واستبداده بأهل بيته واستئثاره بالملذات لنفسه، وليس هو من مقتضيات الإسلام كما يتبارد إلى الأذهان، ولو راجعت ما جاء في القرآن من هذا القبيل لرأيت تفسيره أقرب إلى ما يراد من رفع الحجاب» (١)، ثم يأتي زيدان بنوادر استنتاجاته بأن التشبيه وقد جعله الخلفاء الراشدون ذنباً يستوجب القصاص لأجل الحافظة على آداب القوم وليس غيره، وكذلك أن العلماء والفقهاء كانوا يهتمون بوضع العلوم الدينية ونشرها من أجل الخلفاء كما كان الشعب يجلونهم لأجل تكريمه لهم (٢).

ومعًا لا شك فيه أن صعصعة بن ناجية المذكور قام بإنقاذ ثلاثة وستين بناتاً من مخالب الموت بفدائهن لدى الآباء، ولكن لم يبطل الوأد بصنعيته هذه، نظراً إلى استكمار الجاهليين هذه الجريمة، ثم إلى عدم ظهور أية حركة إصلاحية تدين هذه الفعلة الشنعة علينا، ثم إلى عدم وجود الظروف الملائمة من ناحية الاقتصاد تضمن نهايتها من المجتمع العربي الجاهلي شيئاً فشيئاً، فإذا كان هو الذي حمل على التقاليد الجاهلية وأوهاها الباطلة بما فيها الوأد حملًا شاملاً، وقد صرخ الله عزوجل عن قبح هذه الفعلة وبشاعتها على النحو التالي: «وإذا المءودة سئت بأذنب قتلت ثم إنه هو الذي عمل وراء محو الفكرة أن ولادة البنت عار أو مصيبة للوالدين، وأكد تربيتها على نحو أحسن، بحيث تتمكن من المساعدة الفعالة في المجتمع الإسلامي برعاية الأمور المنزلية وتربيبة الأولاد، ونجد في كتب الأحاديث عدة من الأحاديث التي حث فيها النبي ﷺ المسلمين وحرضهم على إكرام مثوى بناتهم بأن لهم الجنة، ومن أحاديثه «من ابتنى من هذه البناء بشيء فأحسن إليهم، كن له ستراً من النار».

(١) تاريخ التمدن الإسلامي، ج / ٥ - ص / ٥٤ - ٥٦ .

(٢) نفس المصدر، ج / ٥ - ص / ٢٧ - ٢٩ .

(٢) القرآن الكريم، التكوير، الآية: ٩-٨ .

(١) صحيح البخاري و مسلمو ابن ماجة، نقلًا عن تفہیم القرآن، ج / ٦ - ص / ٢٦٦ - ٢٦٧ .

(٢) القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية: ٥٩ .

(٣) الشيخ شibli النعmani، الانتقاد على كتاب التمدن الإسلامي، ص / ٨٠ .

الاصلاحات في سورة النور حيث يخاطب الله عز وجل عباده المؤمنين «يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوه وتسليوا على أهلها، ذلك خير لكم لعلكم تذكرون»^٤ و«قل للمؤمنين يغدو من أبصارهم ويحفظوا فروجهم، ذلك أذكي لهم، إن الله خبير بما يصنعون»^٥ وكذلك «وقل للمؤمنات يغدو من أبصارهن ويحفظن فروجهن، ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ولبسن بخمرهن على جيوبهن...»^٦ (١).

وفيما يتعلق بطبع زيدان في كبار المسلمين فإنه ينسب إلى أبي سفيان صخر بن حرب القول الآتي عند وقعة اليرموك «يا مشيخة قريش ومهاجرى الفتح، لا يهمنا من هذه الحرب إلا الانحياز إلى الغالب، فإذا اغلبت الروم كنا معهم، وإذا انتصر المسلمون فانا معهم... فإذا بنبيلة أصابت إحدى عينيه ففقتاها»^٧ (٢) ثم يصف عبد الله يوقدنا حاكماً حلب من قبل هرقل سابقاً، ومعتنق الإسلام من عهد قريب، متظاهراً بالإسلام وال ساعي وراء اختطاف أرمانوسنة بنت المقوس والي مصر (٨)، وأكبر منه أنه يتهم السلطان صلاح الدين الأيوبي بمنع أبناء العاضد وسائر الرجال من أهله عن الزواج حتى لا يعقبوا نسلاً يطالب بعده بالخلافة (٩)، وكذلك يزور تحسن علاقات أبي جعفر المنصور والإمام أبي حنيفة النعمان لأنهما كانا مؤيدي بعضهما البعض في الفقه والسياسة، قوله: «إن (المنصور) نصر فقهاء العراق القائلين بالقياس وكان كبيرهم يومئذ أبو حنيفة النعمان في الكوفة فاستقدمه المنصور إلى بغداد وأكرمه وعزز مذهبه» ثم يهاجم على الإمام هجوماً شنيعاً ويصفه ما يقربه من الشعوبيين قوله: «وكان أبو حنيفة لا يحب العرب ولا العربية، حتى إنه لم يكن يحسن الاعراب ولا يبالى به»^{١٠}.

ونرد على زيدان أن قوله عن أبي سفيان من خالص تلفيقه، وقد دققنا النظر في المراجع التي ذكرها في بداية الرواية «فتاة غسان» حيث ورد ذكر أبي سفيان، ولكننا لم نجد شيئاً يدل على تردداته في أمر إيمانه أو إسلامه، بل وجدناه على العكس كما وصفه ابن الأثير «وشهد اليرموك وكان هو القاص في جيش المسلمين يحرضهم ويحثهم على

الجانب التاريخي لروايات جرجي زيدان

القتال»^١ (١)، ومن عجب أن زيدان فاق المؤرخين التشيعين كأبي الفرج الأصفهاني^٢ في غزو والأمويين وذمهم، بما أن الأصفهاني لواطاف في مؤلفه الشهير «الأغاني» في ادانة أبي سفيان والخط من شأنه، ولكنه لم يذكر شيئاً من قبيل ما ألح به زيدان، وقال شارح المؤلف المذكور موضحاً أمراً أبي سفيان «الثابت في التاريخ الصحيح أن أبي سفيان أسلم وحسن إسلامه، فلعل هذه الأخبار ونحوها كان يفترى عليه على معاوية وآل معاوية للنيل منهم والكيد بهم»^٣ (٢).

وكذلك قوله عبد الله يوقدنا مجرد زور وبهتان، ونلتقي بالعلامة الوادي في مؤلفه الشهير «من فتوح الشام» حيث يذكر أن عبد الله المذكور كان قد أسلم وحسن إسلامه، وعندما أحاطه جنداً مانوساً حتى أصحابه على الثبات في الدفاع عن أنفسهم دون أن يقتلوا على أيدي العدو الأقباط، ثم هو الذي فسر لرسول أرمانوسنة باعث اعتنائه الدين الحنيف داعياً الأقباط إلى إحدى الخصال الثلاث، ثم هو الذي كان له يذكر في فتح مريوط، وقد نوه جهوده هذه خالد بن الوليد رضي الله عنه كبير القواد المسلمين تنويهاً^٤ (٤) وأما اتهامه صلاح الدين الأيوبي فهو كذلك بهتان قوله على هذا البطل العظيم حقاً وضيماً، وقد قلنا المراجع التي اعتمد عليها في الرواية «صلاح الدين الأيوبي» ظهراً على عقب، فما وجدنا فيها شيئاً من قبيل اتهامه، ثم إنه يناقض قوله نفسه إذ يقول على لسان إحدى شخصياته: «إحدى الله أنهم لم يستخدموا السيف في فناء من بقي من أهل الخلافة كما فعل غيرهم في مثل هذه الحال، ألم يأمر أبو العباس السفاح بقتل كل من بقي منبني أمية حتى لا يبقى واحد منهم يطالب بالخلافة؟ فلو أمر صلاح الدين مثل هذا الأمر من يقدر على ردّه؟»^٥ (٥).

وأما علاقات المنصور والإمام أبي حنيفة المزعومة، فقد أكد ابن خلكان استدعاء المنصور له من الكوفة إلى بغداد كما أكد عرضه القضاء عليه واباء الإمام له ونفوره منه، حتى يئس منه المنصور فأمر بحبسه^٦ (٦) والمشهور أنه توفي في السجن إماماً موتاً طبيعياً وإما من سمه دسه خازن السجن في طعامه من إيماء من المنصور، ويفسر أبو الأعلى المودودي سبب استدعاء المنصور له إلى بغداد معتقداً على «مناقب الإمام

(١) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢ / ١٢-١٢.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢ / ٢٠٢.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، ج ٦ / ٢٥٤-٢٥٦.

(٤) محمد الوادي، من فتوح الشام، ج ٢ / ٢٩.

(٥) صلاح الدين الأيوبي، ص ١٠٦.

(٦) ابن خلكان، ج ٥ / ٤٠٦.

(١) القرآن الكريم، سورة النور، الآية: ٢٧-٢٠-٢١.

(٢) فتاة غسان، ص ٢٨٠.

(٣) أرمانوسنة الصرية، ص ٩٦.

(٤) صلاح الدين الأيوبي، ص ١٠٨.

(٥) تاريخ التمدن الإسلامي، ج ٢ / ٢-٣ / ٧٢.

الأعظم أبي حنيفة النعمان^(١) للموفق بن أحمد المكي، أن الإمام وبما أنه كان قد أيد النفس الزكية علينا في خروجه على المنصور، فكان المنصور يضرره سوءاً ولكن لم يتجرأ في نفس الوقت على حبسه، فأراد أن يستخدمه في أغراضه بجعله قاضي القضاة^(٢) (١) وأما كره الإمام العرب واللغة العربية وعدم استحسانه هذا اللسان المبين، فهو من محض افتائه وتعده الكذب وتشويه الواقع^(٣) لأن المرجع الذي ذكره المؤلف لا يأتي بشيء مما أحبه الإمام، فقد جاء في «وفيات الأعيان» المرجع المشار إليه أن الإمام وسئل أبو عمرو بن العلاء المقرئ النحوي مرة عن القتل بالمثل قائلاً: هل يوجب القواد أم لا؟ وأجابه الإمام بالنفي، وكرر النحوي السؤال مستزيداً «ولو قتله بحجر النجنيق» فرد الإمام قائلاً «ولو قتله بأبا قبيس» الجبل المطل على مكة، وقد اعتذر بن خلكان من إعراب الإمام جبل أبي قبيس بـ«أبا قبيس» بدلاً من «بأبي قبيس»^(٤) بكونه يتكلم بلغة أهل الكوفة، وهو نفسه منهم، وكان للكوفيين رأي خاص في إعراب الكلمات الست المعرفة بالحروف، وهو أنه يكون في الأحوال الثلاث جميعها بالألف وكأنوا ينشدون في ذلك:

«إن أباها وأبا أباها قد يلغافي الحدغاتياما»^(٥) إذن كيف يصح أن يستدل واحد من هذا البيان أن الإمام أبا حنيفة كان لا يحسن الإعراب ولم يكن يبالى به، ثم إنه كان لا يحب العرب والعربية.

ونصل إلى أن زيدان في اتباع خطوات أساتذته المستشرقين كان يهدف إلى تشويه الإسلام وتاريخه من ناحية، وتشكيك المسلمين ولا سيما أنصاف المثقفين منهم في المبادئ الإسلامية بما فيها النبوة والوحى من ناحية أخرى، وكل هذا معتمد على خياله «الخصب» دون أي شاهد من الشواهد العلية السليمة، وتبلور لنا أمنياته الفاسدة تبلوراً، عندما يذكر بعض الحقائق الثابتة كعدم قتال العرب الأحباش المغيرة على الكعبة، وعداؤه اليهود العرب على الإسلام ونبيه المصطفى ﷺ، وبسالة المسلمين الفاقدة النظير في الفتوحات داخل الجزيرة العربية وخارجها، وكون الحجاب من مقتضيات الإسلام ومهماته، ومعاملة العلماء والفقهاء الخلفاء غير الراشدين بفتور ونفور بالغين، ونسف على الباحثين التحيزين المؤمنين بالبحث العلي المزعوم

(١) أبو الأعلى المودودي، خلافة ملوكية، ص/ ٢٢٩-٢٤١.

(٢) الشيخ شibli النعmani، ص/ ٧٨.

(٣) ابن خلكان، ج/ ٥ - ص/ ٤٠٦.

الجانب التاريخي لروايات جرجي زيدان

ونرى لهم على غضن نظرهم عن انحرافات زيدان عن الحقائق التاريخية الثابتة التي ذكرناها آنفاً، ومن هؤلاء الباحثين ثومس فيليب (THOMAS PHILIP) أن زيدان كان يهدف من خلال مؤلفاته، بما فيها رواياته التاريخية، إلى تعليم النساء على خطط علمانية ومحدثة.

الراجح:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- ابن الأثير، عز الدين أبوالحسن على بن محمد بن عبد الكريم الجزري؛ أسد الغابة في معرفة الصحابة، الجزء الثالث، جمعية المعرف، بلا زمان ولا مكان، الكامل في التاريخ، الجزء ٤.
- ٣- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبو بكر، وفيات الأعيان وأنباء أنباء الزمان، الجزء الثالث والخامس، حققه د. إحسان عباس، منشورات الشريف الرضي-قم، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.
- ٤- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعاوري؛ السيرة النبوية، أربعة أجزاء تحقيقه عبد الرؤوف سعد دار الجيل، بيروت، سنة ١٩٧٥ م.
- ٥- أبو الفرج الأصفهاني؛ كتاب الأغاني، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٥ م.
- ٦- أبو الأعلى المودودي؛ تفہیم القرآن، المجلد الأول والخامس والسادس الطبعة ٢٢/٢٢، مركزى مكتبة إسلامى، دهلي، ١٩٨٢ م، سيرة سرور عالم، المجلد الأول الطبعة ٢/٢، مركزى مكتبة إسلامى دهلي، خلافة ملوكية، الطبعة ١/١، مركزى مكتبة إسلامى، دهلي ١٩١٥ م.
- ٧- أحمد البراهيم الهواري، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، دار المعرف، القاهرة ١٩٧٩ م.
- ٨- جرجي زيدان؛ أرمانوسية مصرية، دار الهدى الوطنية، بيروت، بدون تاريخ، جرجي زيدان؛ صلاح الدين الأيوبي، دار الهدى الوطنية، بيروت، بدون تاريخ، جرجي زيدان؛ فتاة غسان، دار الهدى الوطنية، بيروت، بدون تاريخ.
- ٩- جرجي زيدان؛ فتح الأندلس، دار الهدى الوطنية، بيروت، بدون تاريخ، جرجي زيدان؛ تاريخ التمدن الإسلامي، الجزء الأول، مطبعة الهلال، القاهرة، ١٩٠٢ م.
- ١٠- جرجي زيدان؛ تاريخ التمدن الإسلامي، الجزء الثاني، مطبعة الهلال، القاهرة،

فن الترجمة

الأستاذ حبيب الله خان
الباحث في قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة لكانا

الترجمة عملية بدأت في بادئ الأمر بالاشارة، ثم صارت فناً لكون اعتمادها على الأذواق والشاعر الذاتية نحو اللغة النقول منها والنقل إليها، ثم صارت علماً، وخضعت لقواعد النواميس الدقيقة الموضوعة لها، وفي الوقت الحاضر تحاول اختراق تكنولوجيا الكمبيوتر، والدخول في صلبها، فإنها خلال سفرها الطويل، وعمرها المديد، عرفت بعديد من التعريفات التي وضعها لها أساطين فنها، كما كثرت مفاهيم الترجمة ومذاهبها لدى الباحثين عنها والعاملين في حقلها، ويؤكد على هذه الحقيقة الأستاذ عبد الوود محمود العلي «إن تعريفات وأوصاف عملية الترجمة لا تتم بقواعد جبرية (تحتية) وإنما تعتمد على قواعد احتمالية، ولذلك فإن تعريف عملية الترجمة الصحيحة متعددة ومتغيرة، تتعدد وتفاوت الأشخاص الذين اضطلاعوا بمهمة مناقشة هذا الموضوع (١)» وتعود أسباب هذا التنوع إلى التطور المستمر في اللغة وأسلوب الكاتب والترجم، وغيرها من ذلك، وإذا أردنا أن نخوض في بحر معانى الترجمة، ومفهومها، ومذاهبها، فعلينا أن نبدأ بخير ما يبدأ وهو مراجعة قاموس النجد في اللغة والاعلام، لنرى ماذا يقول عن كلمة «ترجم» باللغة العربية «ترجم الكلام» فسره بلسان آخر، فهو ترجمان، وجمعه ترجمة وترجم، ويقال: «ترجم بالتركية» أي نقله إلى اللسان التركي، وترجم عنه، أوضح أمره - الترجمة جمعه ترجم - التفسير بالخ (٢)، وعلى مانظن، هذا هو التعريف نفسه

(١) الأستاذ عبد الوود محمود العلي / مفهوم الترجمة / مجلة المترجم العدد الأول ١٩٨٧م ص/٩٥ .
(٢) المنجد في اللغة والاعلام ط. ٢٩ - ٢٩ - ص/٦٠ .

- جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، الجزء الثالث، مطبعة الهلال، القاهرة، ١٩٠٢م، ط٢ .
- جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، الجزء الرابع، مطبعة الهلال، القاهرة، ١٩٠٢م، ط٤ .
- جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، الجزء الخامس، مطبعة الهلال، القاهرة، ١٩٠٢م، ط٣ .
- الشيخ شبل النعماني الهندي: الانتقاد على كتاب التمدن الإسلامي، مطبعة آسى لكانا، سنة ١٩١٢م .
- شكري فيصل: حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول ، الطبعة السادسة ، دار العلوم للملايين، بيروت، ١٩١٢م .
- الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، الجزء الخامس، LUGD. BAT. E.J. BRILL, 1964.
- محمد سرور نايف زين العابدين: دراسات في السيرة النبوية، دار الأرقام B552, MOSELEY ROAD, BALSAL HEALTH BRIMINGHAM, B12 9AD, U.K. 1988.
- القريزى، تقى الدين أحمد بن علي عبد القادر بن محمد: المواعظ والاعتبار بذكر الخطوط والآثار، الجزء الأول والثانى، مطبعة النيل، مصر ١٢٢٤هـ .
- السعوى، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي البغدادى، مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزءان، الطبعة الثانية، دار الأندرس، بيروت، سنة ١٩٧١م .
- الواقدى، محمد بن عمر بن واقد: كتاب المغازي، الجزء الأول، عالم الكتاب، بيروت، بدون تاريخ، من فتوح الشام، الجزء الثاني، الطبعة العاشرة، القاهرة، ١٢١٥هـ .
- BRILLS, E.J; FIRSTENCYCLOPEDIA OF ISLAM (1913-1936) E.J. BRILL, LEIDEN, 1987.
- ENCYCLOPEDIA OF BRITANNICA; 15th EDITION, 1977.
- SCOTT, SIR WALTER; THE TALISMAN, EVERYMAN'S LIBRARY, LONDON, 1967.
- THOMAS PHILIP, JURJIZAYDAN, HIS LIFE AND THOUGHT, THE REVIEW OF THE BOOK APPEARED IN < JOURNAL OF ARABIC LITERATURE > VOL XIV, 1983, BY M.M.BADAWI

رددت معظم قواميسنا العربية الاعتيادية، أما معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب يقول: «الترجمة: النقل - هي إعادة كتابة موضوع معين بلغة غير اللغة التي كتب بها أصلًا (١)» ويدرك قاموس اكسفورد الانجليزي معنى

كلمة يترجم *Translate* على النحو الآتي:

1- *Turn (Word, Sentence, book etc.) from one Language into another, express sense of it in another form of Words.*

2- *Infer or declare the significance of, interpret (Signs, movement, conduct etc.)*

3- *Convey, introduce, (idea, Principle, design) from one art etc. into another.* (٢).

إذا اكتفينا بهذا القدر من المعاني المعجمية، وتوجهنا إلى ما تعني مفاهيم الترجمة ومذاهبها، وجدنا أن العلماء العرب، ومن الأسف الشديد، ما بذلوا جهدهم في الكتابة عن الترجمة، من ناحية تعاريفها وتفصيلاتها، مثل ما بذلوا في سبيل عملية الترجمة من مال وهمة واجتهاد، وهذا هو السبب الرئيسي لرجوع اقطاب المترجمين العرب المحدثين إلى علماء الغرب، الإنجليز والأتلان والروس والفرنسيين عند مناقشتهم الترجمة، من ناحية مفاهيمها ومذاهبها، بالرغم من اعترافهم بأن نظريات الترجمة الخاصة باللغات الأوروبية لا تنطبق مائة بالمائة على اللغة العربية، من جراء الاختلاف الشاسع في البنية والتركيب والأسلوب وغيرها، ونعتقد بأنه ليس هناك ضير في الاستعانة بأرائهم إذا لم يبلغ الأمر إلى حد الاعتماد عليهم، بينما كان للعرب قصب السبق في الترجمة، ويقال إن الترجمة كانت في عصر المأمون توزن بالذهب، والعرب لهم فضل كبير في الحفاظ على الكتب الأجنبية من الزوال، وصدق من قال، لو لم تكن الترجمة العربية لضاعت حكمة اليونان وفلسفتها، كما ذكرنا آنفاً بأنه لا توجد قاعدة ثابتة تحكم

فن الترجمة

بصراًمة كل أنواع الترجمة، لأنها عملية ممزوجة من الفن والعلم وبسببها حصل التفاوت الطبيعي بين آراء منظري الترجمة التي سنعرضها على نحو الاختصار والاختيار.

أولاً: قبل كل شيء نعرض رأي الجاحظ الأديب العبرى، في القرنين الثاني والثالث الهجريين، لعله أول من ناقش من المثقفين العرب، حول الترجمة والمترجمين «لابد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة، في وزن عمله في نفس المعرفة وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقول منها والمنقول إليها حتى يكون منها سواء وغاية (١)»

ذكر العامل صاحب الكشكول نقلًا عن صلاح الدين صفى الأديب المؤرخ من أعيان القرن الثامن الهجرى «وللتراجمة في النقل طريقان، أحدهما طريق يوحنا بن البطريرق وابن ناعمة الحمصى وغيرهما، وهو أن ينظر إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية، وما تدل عليه من المعنى، فيأتي الناقل بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى، فيثبتها، وينتقل إلى أخرى كذلك حتى يأتي على ما يريد تعربيه وهذه الطريقة رديئة لوجهين:

أحدهما: أن لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع كلمات اليونانية ولهذا وقع في خلال التعريب كثير من الألفاظ اليونانية على حالها، الثاني: أن خواص التركيب والنسب الاسنادية لا تطابق نظيرها من لغة أخرى دائمًا، وأيضاً يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهي كثيرة في جميع اللغات.

الطريق الثاني في التعريب: طريق حنين بن إسحاق والجوهرى وغيرهما، وهو أن يأتي بالجملة فيحصل معناها في ذهنه ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها سواساً بـ الألفاظ ام خالفتها، وهذا الطريق أجود ولهذا لم تحتاج كتب حنين بن إسحاق إلى تهذيب إلا في العلوم الرياضية لأنه لم يكن فيما بها بخلاف كتب الطب والمنطق الطبيعي والالهي فإن الذي عربه منها

(١) الجاحظ / كتاب الحيوان المجلد الأول / طدار سكتبة الهلال، ص ٥١.

(١) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب.
(٢) قاموس اكسفورد الانجليزي المصور من ١٢١٥.

فن الترجمة

وجاءت آرائهم مقرونة بالانطباعات التي تركها الغربيون، ذكر كتاب المدخل إلى الترجمة «الترجمة فن من الفنون التطبيقية»، ميدانه لغات البشر المختلفة، وهدفه تحقيق التفاهم بين متکلّي تلك اللغة، وإيصال ما ينتجه متکلّو لغة ما في شتى المجالات التي تستعمل فيها اللغة إلى متکلّي لغة أخرى (١)»، وعند بعض علماء اللغة، للترجمة معنى أوسع من المعنى المألف، فانهم يعتبرونها

مظهراً من مظاهر السلوك اللغوي عند الإنسان، ومن أشهر من قال بهذا الرأي رومان جاكوبسن الذي يقول «إن فهمنا للأشياء في جوهره، استبدال رموز لغوية برموز أخرى، وهذا عنده هو عملية الترجمة، فجميع الادراك يعتمد على الترجمة، ويميز جاكوبسن ثلاثة أنواع من هذه الترجمة.

١- استبدال رموز لغوية في لغة ما برموز لغوية في اللغة نفسها، ويشمل هذا المرادفات والشرح والتفسير، وكثيراً ما يمارس الفرد هذه العملية في لغته.

٢- استبدال رموز لغوية في لغة ما برموز لغوية في لغة أخرى وهي عملية الترجمة بمعناها المألف الشائع.

٣- استبدال رموز لغوية برموز غير لغوية، كاستعمال الرسوم والألوان والموسيقى والرقص للتعبير عن معنى معين (٢).

وذكر الدكتور صفاء خلوصي تعريف الترجمة بأنها فن جميل يعني بنقل الفاظ ومعاني وأساليب من لغة إلى لغة أخرى، بحيث إن المتكلم باللغة المترجم إليها يتبع النصوص بوضوح ويشعر بها بقوه كما يتبعها ويشعر بها المتكلم باللغة الأصلية، وبناء على هذا التعريف يرى الكاتب:

١- يجب أن تعطى الترجمة صورة صحيحة للأفكار المتضمنة في النص الأصلي.

٢- تلزم المحافظة على الأسلوب الأصلي قدر الامكان.

(١) مقدمة كتاب المدخل إلى الترجمة، ط. مؤسسة دار الكتب للطباعة ونشر جامعة الموصل للأساتذة، د/ سليمان الواسطي، عبد الوهاب الوكيل، ديوبيل يوسف، كرم حسبي.

(٢) الترجمة الأدبية للأساتذة المذكورين أعلاه.

يحتاج إلى اصلاح (١). ذكر الدكتور صفاء خلوصي أن سليمان البستاني قد علق على ما ذكره الصفدي بالقول «أن هذين الطريقيين اللذين أشار إليهما الصلاح الصفدي منذ زهاء ستة قرون هما المذهبان المعمول عليهما في النقل حتى يومنا وليس وراءهما مذهب ثالث (٢)».

حاول الأستاذ أحمد حسن الزيارات، وهو من اقطاب الترجمة المحدثين، إيجاد الوفاق بين المذهبين المذكورين أعلاه، لذلك انفرد في ترجمة الآثار الأدبية بمزية لم يتميز بها المترجمون الأولون، فإنه تحدث عن مذهبه في الترجمة «انا انقل النص الأجنبي إلى العربية نقلاصرفيا، على حسب نظمه في لغته، ثم اعود فأجريه على الأسلوب العربي الأصيل، فأقدم وأوخر دون أن انقص أو ازيد، ثم اعود ثالثة فأفرغ في النص روح المؤلف وشعوره باللفظ الملائم والمجاز المطابق، والنحو المنتظم، فلا اخرج من هذه المراحل الثلاث إلا وأنا على يقين جازم بأن المؤلف لو كان كتب قصته باللغة العربية لما كتبها على غير هذه الصورة (٢)، هذه هي بعض المذاهب المهمة التي اتبعها المترجمون العرب.

وعندما تشعبت العلوم والفنون أكثر مما كانت عليه سابقاً، ودعت الضرورة إلى ترجمة المواد ما عدا الطب والفلسفة والرياضيات والنجوم وغيرها من العلوم المألوفة في تلك الزمن، فطرأ تغيير بسيط على تعاريف الترجمة ومفهومها، لأنها لم تعد كافية لتفطية متطلبات الترجمة، فبرز المختصون المعنكون، ووسعوا نطاق مفاهيم الترجمة بمزيد من التفاصيل.

(١) الظاهر أحمد الزاوي /كتاب الكشكوك لبهاء الدين العاملی الجزء الأول / ط دار احياء الكتب العربية.

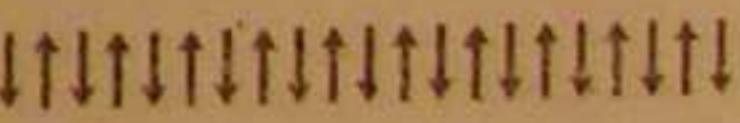
(٢) الاقتباس مأخوذ من كتاب فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة للدكتور صفاء خلوصي / ص ١٠

(٣) الاقتباس مأخوذ من كتاب الترجمة ومشكلاتها للأستاذ ابراهيم زكي خورشيد ، ط/ الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٥ م ، ص ١٠.

٤- ينفي أن لا تقل سلاسة الترجمة عن سلاسة أية قطعة موضوعة (١).

وملخص الموضوع: يقول الأستاذ عبد الوهود محمود العلي الذي اعتبره مفهوماً دقيقاً وأشمل للترجمة وهو «النقل من لغة ورموز أخرى بأقصى قدر من الأمانة في المرادفات والمعنى والإيقاع والنبرة والوتيرة وأسلوب التأثير الذي يحدث النص عند نقله إلى اللغة الملقية (٢).

لقد دونت ما دونت أعلاه، من آراء العلماء في الترجمة ومفاهيمها ومذاهبها، بعد استقصائها واستقرائها، وحاولت قدر مستطاعي أن أذكر تلك الآراء التي تناسب في مجرى واحد، وتقع في مصب واحد، وذلك حرصاً مني على أن يسهل استيعابها للقارئ، بمنأى عن الآراء المتضاربة التي قد تربك القراء ببلاتها، لأن الترجمة عملية قديمة عرفها الإنسان منذ اختلاطه واحتلاكه مع الشعوب الناطقة بعده لغات، فطبعي أن تكون فيها الآراء التي لا يمكن حصرها في مقال بسيط.



إن لكل شيء مقياساً يقاس به أهميته وجلالته ومقاييس أي كتاب أربعة أمور:
 ١- فضل المؤلف وحذاقته في الفن.
 ٢- لزوم الصحة.
 ٣- جودة الوضع والترتيب واحتواء الكتاب على المباحث الفنية المهمة.
 ٤- اجتماع الأمة عليه بالقبول.

وهنا ندعى أن كتاب الآثار للملام الأعظم أبي حنيفة النعمان رحمه الله يمتاز في هذه الأمور الرئيسية، والآن نبينها بشيء من الإيضاح والتفصيل بدلائل واضحة موجودة في المصادر المعتمدة.

١- فضل المصنف وحذاقته في الفن:
 أول شيء في هذا الأمر هو تابعية صاحب هذا الكتاب وليس عندنا أي مصنف في السنن يكون صاحبه تابعياً، فإن الإمام رحمة الله يمتاز بين الأئمة الآخرين بهذا الشرف، يقول العلامة ابن حجر المكي شارح المشكاة ناقلاً عن فتاوى العلامة الحافظ ابن حجر العسقلاني:

«إنه أدرك جماعة من الصحابة كانوا بالكوفة بعد مولده بها سنة ثمانين فهو من طبقة التابعين ولم يثبت ذلك لأحد من أئمة الأمصار المعاصرين له، كالأوزاعي بالشام والحمداني بالبصرة، والثورى بالكوفة، ومالك بالمدينة المشرفة، والليث بن سعد بمصر» (١).

(١) الخيرات الحسان لابن حجر المكي، الفصل السادس.

(١) الدكتور صفاء خلوصي، فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة المذكور أعلاه.

(٢) مجلة المترجم المذكورة أعلاه، ص ١٠١.

أي شرف أعظم من أن يلقب الإمام بالأمام الأعظم في الأمة، والسواد الأعظم من الأمة ما زالت تعمل على فقهه واجتهاده في المسائل الفقهية، وكبار الأئمة يعترفون بفضله وحذاقته، يقول الإمام عبد الله بن المبارك: إني كنت عند مالك رحمه الله إذ جاءه رجل وجلس عنده ثم رجع فقال مالك هل تعرفونه، فقالوا: لا - وإنني كنت قد عرفت - فقال مالك:

«هذا أبو حنيفة النعمان، لو قال هذه الأسطوانة من ذهب لخرجت كما قال، لقد وفق له الفقه حتى ما عليه فيه كثير مؤنة» (١).

وقال الإمام محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله: «الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة» (٢) وروى الإمام أبو بكر المرزوقي عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أنه يقول: لم يصح عندنا أن أبا حنيفة قال: «القرآن مخلوق» قلت الحمد لله يا أبا عبد الله هو على درجه رفيعة في العلم فقال: «سبحان الله هو من العلم والورع وايثار الدار الآخرة بمحل لا يدركه أحد» (٣) ويشهد الإمام سفيان بن عيينة على هذا الإمام فيقول: «ما مقلت عيني مثل أبي حنيفة» (٤) ويقول: «العلماء: ابن عباس في زمانه والشعبي في زمانه وأبو حنيفة في زمانه» (٥).

يقول عبد الرحمن بن مهدي الإمام المشهور في فن الرجال:

«كنت نقالا للحديث فرأيت سفيان الثوري أمير المؤمنين في العلماء وسفيان بن عيينة أمير العلماء وشعبة عيار الحديث وعبد الله بن المبارك صراف الحديث ويحيى بن سعيد قاضي العلماء وأبو حنيفة قاضي قضاء العلماء» (٦)، ومن قال لك سوى هذا فارمه في كنasa بنى سليم (٧)، وقال شيخ الإسلام يزيد بن هارون: «كان أبو حنيفة تقىا نقىا زاهداً عالماً صدوقاً

(١) مناقب أبي حنيفة للمحدث الصimirي وهي خطبة حتى الآن موجودة في مكتبة المجلس العلمي بكراتشي باكستان.

(٢) مناقب أبي حنيفة للإمام الذهبي، ص ١٩ طبع بمحضر

(٣) أيضاً، ص ٢٧. (٤) أيضاً، ص ١٩.

(٥) مناقب صimirي.

(٦) مناقب الإمام الأعظم لصدر الأئمة المكي، ج ٢ - من ٤٥ طبع بدائرة المعارف حيدر آباد دكنا.

(٧) مناقب صimirي.

اللسان أحفظ أهل زمانه سمعت كل من ادركته من أهل زمانه انه ما رؤى افقه منه (١) «إنه قال أيضاً: لم أرأ أعقل ولا أفضل ولا أورع من أبي حنيفة (٢)». يقول إمام الجرح والتعديل يحيى بن سعيد القطان: «إنه والله لأعلم هذه الأمة بما جاء عن الله ورسوله (٣)» وهذا سيد الحفاظ يحيى بن معين سئل مرة عن الإمام أبي حنيفة فقال: «عدل ثقة ما ظنك بين عدله ابن المبارك ووكيع (٤)» ويقول الإمام عبد الله بن المبارك: «لو لأن الله تداركني بأبي حنيفة وسفيان لكنت بدعيًا (٥)» وحينما يروي شيخ الإسلام عبد الرحمن المcri عن الإمام أبي حنيفة فيقول حدثنا أبو حنيفة شاه مردان» يعني سيداً من سادات الرجال.

هذه الروايات والأقوال تشهد على عظم شأن هذا الإمام في العلم والمعرفة وبراعته في الفنون ولا سيما الفقه والحديث، وقد صح قول خلف بن ابيه ابراهيم أهل بلخ:

«صار العلم من الله تعالى إلى محمد ثم صار إلى أصحابه ثم إلى التابعين ثم صار إلى أبي حنيفة وأصحابه فمن شاء فليرض ومن شاء فليستطع (٦)».

لزوم الصحة: أول شيء في هذا الأمر هو أن الإمام أبا حنيفة في أي طبقة في علم الحديث؟ يقول شمس الأئمة السرخسي رحمه الله: «كان أعلم عصره بالحديث (٧)» وقد مضت أقوال شيخ الإسلام يزيد بن هارون ٢٠٦هـ وسيد الحفاظ يحيى بن سعيد القطان وغيرهما من الأئمة الحفاظ، تم انظروا أن الإمام انتخب الآثار من أربعين ألف حديث، يقول صدر الأئمة موفق بن أحمد المكي ناقلاً عن امام الأئمة بكر بن محمد الزرنجري المحدث

(١) مناقب ، للذهبي، ص ٢٦.

(٢) مقدمة كتاب التعليم للعلامة مسعود بن شيبة السندي ناقلاً عن تاريخ الإمام الطحاوي.

(٣) مناقب الإمام الأعظم للعلامة الكردري ، ج ١ - من ٩١ طبع بدائرة المعارف حيدر آباد دكنا.

(٤) مناقب ، للذهبي، ص ١٨.

(٥) مناقب ، لصدر الأئمة، ج ٢ - من ٢٢.

(٦) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ترجمة الإمام أبي حنيفة.

(٧) أصول الفقه للإمام السرخسي، ج ١ - من ٢٥٠ طبع بمصر سنة ١٢٧٢هـ.

للاحتاج بها، وأما مراصيله فقد وجدنا أسانيده كمراصيل المؤطأ للإمام مالك رحمه الله تعالى، فهذا الكتاب على درجة عالية في الصحة.

جودة القرطبي: إذاً معنا النظر في كتب التاريخ والرجال وجدنا أن هناك كثيراً من مجاميع الأحاديث النبوية - على صاحبها ألف الف سلام وتحية - للصحابة والتابعين، حتى روى عن المحدث أبي نعيم الأصفهاني أنه قال: كان دار أبي حنيفة مملوءاً بهذه الكتب، ولا شك فيه أن الإمام قد جمع عنده سائر الكتب الموجودة في الكوفة في فن الحديث ولا يمكن أن نقول شيئاً عن ذخائر الكتب في غيرها من البلاد الإسلامية عن عددها وكميتها، ولكن مع هذه الكثرة ما كان منها شيء مبهمأً محدوداً على الترتيب الفني ومبوباً، بل كلها قد جمعت على ما اتفق لصنفيها من الأحاديث والآثار، والإمام أبو حنيفة هو أول من دون كتابه على الترتيب الفني ورتبه على الأبواب الفقهية، وأحسن فيه وأجاد حتى تبعه الإمام مالك في موطنه، وصار هذا الأسلوب شائعاً دائعاً بين الأئمة والعلماء، يقول العلامة جلال الدين السيوطي رحمه الله: «من مناقب أبي حنيفة التي انفرد بها أنه أول من دون علم الشريعة ورتبه أبواباً ثم تبعه مالك بن أنس في ترتيب المؤطأ ولم يسبق أبو حنيفة أحداً»^(١).

وقد ووجه الإمام أبو بكر عتيق بن داؤد اليماني من الفقهاء المقدمين، نظرنا إلى هذا الأمر أيضاً أن الله تعالى إذا ضمّن لنبيه ﷺ حفظ الشريعة وكان أبو حنيفة أول من دونها على خطأ^(٢).

تلقي العلماء بالقبول: تلقى العلماء هذا الكتاب بالقبول واشتهر بين الناس حتى صار مبدءاً أساسياً للفقه الحنفي الذي هو مسلك أكبر طبقة في هذه الأمة، وقد صرّح الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوi أن هذا الكتاب من أمهات الكتب للفقه الحنفي، وقال: «إن بناء الفقه الحنفي على مسند أبي حنيفة وكتب محمد رحمه الله»^(٣).

(١) تبييض الصحيفة في مناقب أبي حنيفة، ص/ ٢٦ طبع دائرة المعارف.

(٢) مناقب الإمام الأعظم لصدر الأئمة، ج/ ٢ - ص/ ١٢٧.

(٣) قرآن العينين في تفضيل الشيفيين، ص/ ١٨٥ طبع مجتبائي دهلي.

الكبير يقول: «انتخب أبو حنيفة رحمه الله الآثار من أربعين ألف حديث (١) وقد روى الحافظ أبو نعيم الأصفهاني بسند متصل عن يحيى بن نصر ابن حاجب أنه قال: «دخلت على أبي حنيفة في بيت مملوء كتاباً فقلت: «ما هذه؟ قال: هذه أحاديث كلها وما حدثت به إلا يسير الذي ينتفع به»^(٢)». ثم انظروا أن كبار المحدثين اعترفوا بورعه في التحديد فقد روى الحافظ أبو محمد عبد الله الحارثي قال: أخبرنا القاسم بن عباد، سمعت يوسف الصفار، يقول سمعت وكينا، يقول: لقد وجد الورع عن أبي حنيفة في الحديث مال موجد الجوهرى شيخ الإمام البخارى والإمام أبي داؤد أنه قال: «أبو حنيفة إذا جاء بالحديث جاء به مثل الدر»^(٤)، ويقول الإمام يحيى بن معين أمام الجرح والتعديل: «كان أبو حنيفة ثقة لا يحدث بالحديث إلا بما يحفظه ولا يحدث بما لا يحفظه»^(٥).

وقد أنشد الإمام عبد الله بن المبارك في مدح أبي حنيفة فقال: روى آثاره فأجاب فيها كثيران الصقور من المنيفة فلم يك بالعراق له نظير ولا بالشرين ولا بکوفة»^(٦)

وأنشد أبو مقاتل السمرقندى إمام أهل سمرقند فقال: روى الآثار عن نبل ثقات غزار العلم مشيخة حصيفة^(٧) وهذه شهادة أن من كبار الأئمة على صحة الآثار في كتاب الإمام، وإنما قد خرجنا أحاديثه بتقبه قلة فلم نجد أحداً منها لا يحتاج به بل كلها صالحة

(١) مناقب ج/ ١ - ص/ ٩٥.

(٢) عقود الجوهر المنيفة ج/ ١٢ - ص/ ٢٢ طبع بمصر

(٣) مناقب صدر الأئمة ج/ ١ - ص/ ١٩٢.

(٤) جامع مسانيد الإمام الأعظم للخوارزمي ج/ ٢ - ص/ ٢٠٨ طبع بدارنة المعارف.

(٥) تاريخ بغداد، تهذيب التذبيب وطبقات الحفاظ للسيوطى ترجم أبو حنيفة، هذه الرواية دالة على أن ضبط الصدر كان هرط الصحة الحديث عند أبي حنيفة ولا يكفى ضبط الكتاب عند هذا الشرط أشد وأقوى.

(٦) مناقب لصدر الأئمة ج/ ٢ - ص/ ١٩٠.

(٧) أيضاً ج/ ٢ - ص/ ١٩١.

كتاب الآثار وصاحبه ..

كما لك في موطاه، وغيره من أصحاب الصحاح مع اختلاف أذواقهم، وقد بين الإمام أبو حنيفة طريقة فيأخذ الروايات فقال: «إنني آخذ بكتاب الله إذا وجدته وما لم أجده فيه آخذت بسنة رسول الله ﷺ، والآثار الصحاح عنه التي فشت في أيدي الثقات (١)»، وشهد الإمام سفيان الثوري عليها بقوله: «يأخذ بما صر عنده من الأحاديث التي كان يحملها الثقات، وبالآخر، من فعل رسول الله ﷺ (٢)»، فجمع الإمام أبو حنيفة رحمة الله في «كتاب الآثار» الآثار الصحاح التي رواها الثقات عن الثقات، وجعل الآخر من أفعال رسول الله ﷺ وأقواله أصلاً أو لاثم آخذ آثار الصحابة والتابعين، وتبعه مالك في كتابه ثم تبع صاحبها الصحيحين مالكارم رحمة الله في هذا الأسلوب كما قال العلامة الحدث عبد العزيز بن ولی الله الذهلي رحمة الله في كتابه: «إن صحيح البخاري و صحيح مسلم وإن كانوا أضعافاً عشرة أضعاف في كثرة الروايات ولكنهما تبعاً الموطاً فيأخذ الروايات و نقد الرجال و الاعتبار والاستنباط (٣)»، فهذا الأسلوب الذي اختاره أبو حنيفة في كتابه تبعه فيه الحدثون حتى تبعه بعض فقهاء الحديثين في اسم هذا الكتاب أيضاً، فسمى الإمام البخاري كتابه «تصحيح الآثار» والإمام الطحاوي «معاني الآثار» و «مشكل الآثار» والإمام الطبرى «تهذيب الآثار».

الواقع أن «كتاب الآثار» هو أول كتاب رتب على الأبواب وبعد هذا الكتاب شاع التبويب في كتب الحديث وبما أن مؤلف هذا الكتاب التزم أن يورد الآثار الصحاح فالالتزام المصنفون على الأبواب بعده أن يأتوا بالصحاح، يقول الإمام السيوطي في تدريب الرأوى: «إن المصنف على الأبواب إنما يورد أصل ما فيه ليصلح للاحتجاج (٤)».

فهذه ميزات أساسية يمتاز بها «كتاب الآثار» على غيره من الكتب فصار أصلامن صنفوابعده.

- (١) مناقب للصميري.
- (٢) الاشقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقها، لابن عبد الله، ص ١٤٢، بمصر.
- (٣) عجاله نافعه، ص ٥٠ طبع بمكتبة دهلي.
- (٤) تدريب الرأوى، ص ٦١ طبع بمصر.

يوجد في كتب التاريخ أن الإمام مالكارم رحمة الله كان يستفيد من كتب أبي حنيفة يقول الفاضي أبو العباس محمد بن عبد الله بن أبي العوام في كتابه: «حدثنا يوسف بن أحمد المكي، ثنا محمد بن حازم الفقيه، ثنا محمد بن علي الصائغ بمكة، ثنا إبراهيم بن محمد عن الشافعي عن عبد العزيز الدراوردي، قال: «كان مالك بن أنس ينظر في كتب أبي حنيفة وينتفع بها (١)» يقول الإمام الشافعي رحمة الله: «عن لم ينظر في كتب أبي حنيفة لم يتبحر في الفقه» (٢) سئل مرة أبو مسلم المستبل، شيخ الإسلام يزيد بن هارون عن أبي حنيفة والنظر في كتابه، فقال شيخ الإسلام: «انظروا فيها انكم تريدون أن تفقهو (٣)» ومرة كان يدرس هارون بن يزيد إذ خاطب تلاميذه فقال:

«همنكم السمع والجمع لو كان همنكم العلم لطلبتم تفسير الحديث ومعانيه ونظرتم في كتب أبي حنيفة وأقواله فيفسر لكم الحديث (٤)».

قال الحافظ عبد الله بن داؤد الجريينبي: «من أراد أن يخرج من ذل العمى والجهل ويجد لذلة الفقه فلينظر في كتب أبي حنيفة (٥)».

وقد كتب الحافظ أبو يعلى الخليلي في «كتاب الارشاد» في ترجمة الإمام المزني - وهو من أجل تلاميذ الإمام الشافعي رحمة الله - إن الإمام الطحاوي كان ابن اخته قال له مرة محمد بن أحمد الشروطي، لمخالفت خالك واخترت مذهب أبي حنيفة، فقال الطحاوي: «لأنني كنت أرى خالي يدين النظر في كتب أبي حنيفة فلذلك انتقلت إليه (٦)».

هذه هي أقوال كبار الأئمة للفقه والحديث، وهذا هو التلقى لكتب أبي حنيفة، وقد أثر كتاب الآثار على تدوين فن الحديث تأثيراً بالغاً كما ذكرت قبل أن سائر المصنفين في هذا الفن الشريف اختاروا أسلوب كتاب الآثار

- (١) تعليقات الاشقاء في فضائل الأئمة للفقهاء، للحدث الكوثري، ص ١٤ طبع بمصر.
- (٢) مناقب أبي حنيفة للصميري.
- (٣) مناقب مصدر الأئمة، ج ٢ - ص ٤٨.
- (٤) تاريخ ابن خلkan ترجمة الإمام الطحاوي.
- (٥) مناقب أبي حنيفة للصميري.

المحدثون العظام

- سنة ٨٥٢ هـ كتاب شهير في علم الحديث، وهو بلوغ المرام، وناهيك بأنه مؤلف الكتاب الجليل فتح الباري، وتلقى بلوغ المرام أيضاً القبول والشهرة، وكتب كثير من العلماء الشروح عليه، ويعتبر شرح النواب صديق حسن خان من الشروح المهمة الواقعة.
- ٤- منزل الأخبار شرح منتدى الأخبار، هذه خلاصة نيل الأوطار.
 - ٥- أربعون حديثاً في فضائل الحج والعمرة، جمع النواب في هذه المجموعة الأحاديث التي جاءت في فضائل الحج والعمرة.
 - ٦- الحرز المكنون من لفظ العصوم الأمون، هو في شأن الأحاديث المتواترة.
 - ٧- الحطة في ذكر الصحاح الستة، فيه معلومات مفيدة عن الصحاح الستة.
 - ٨- الرحمة المهدأة إلى من يريد زيادة العلم على أحاديث المشكاة.
 - ٩- الروضة الهندية شرح الدر البهيئة، يتصل هذا الكتاب بالجانب الفقهي للحديث.
 - ١٠- العبرة بما جاء في الغزو والشهادة والهجرة.
 - ١١- الموعظة الحسنة بما يخطب في شهور السنة، هي مجموعة خطب الجمعة.
 - ١٢- نيل الأماني بشرح مختصر الشوكاني، له أيضاً صلة بالجانب الفقهي للحديث.
 - ١٣- أربعون حديثاً متواترة، هي مجموعة لأربعين حديثاً.
 - ١٤- تخریج الوصایا من جنایا الزوایا، يتصل هذا الكتاب بالوصایا.
 - ١٥- جصول المأمول من علم الأصول، هذا الكتاب في موضوع أصول الفقه.
 - ١٦- حسن الأسوة مما ثبت من الله ورسوله في النسوة، يدور هذا الكتاب حول تحريم الزنا.
 - ١٧- ظفر الراضي بما يجب في القضاء على القاضي، يتصل هذا الكتاب بآداب القضاء.
 - ١٨- ذخر المحتوى من آداب الفتوى، يتعلق هذا الكتاب بآداب الافتاء.
 - ١٩- لفظة العجلان لما تمس إلى معرفة حاجة الإنسان، يتناول هذا الكتاب موضوعات مختلفة.

المحدثون العظام

الدكتور محمد يونس نجرا مي الندوبي
تعريب جعفر مسعود الحسيني الندوبي

الشيخ عبد الحفيظ الفرنجي محلی رحمة الله المتوفي سنة ١٢٠٤ هـ:

كان الشيخ عبد الحفيظ رغم اشتغاله بالفقه رئيساً متضلعأ في علم الحديث، ولهم مؤلفات قيمة في هذا الموضوع أيضاً، وفيما يلى أسماؤها:

١- التعليق المجد على مؤطراً الإمام محمد، هي تعليقات على مؤطاً الإمام محمد.

٢- الآثار المرفوعة في الأحاديث، يتعلق هذا الكتاب بالأحاديث الموضوعة كما يبدو من اسمه.

٣- ظفر الأماني في شرح مختصر الجرجاني، يتصل هذا الكتاب بأصول الحديث.

٤- الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، هذا الكتاب أيضاً في أصول الحديث
٥- حاشية حصن حصين (الحصن والحسين) هي مجموعة الأدعية المأثورة،
عن النبي ﷺ، له هو امش عليها.
وهذه الكتب الخمسة مطبوعة.

النواب صديق حسن خان المتوفي سنة ١٢٠٧ هـ.
مؤلفات النواب صديق حسن خان في علم الحديث فيما يلى:

١- عون الباري في حل أدللة البخاري، يتضمن هذا الكتاب أربعة مجلدات،
وهو في الواقع شرح على التجريد الصريح للشيخ حسنين بن المبارك الزبيدي

٢- السراج الوهاج في شرح السلم.

٣- فتح العلوم شرح بلوغ المرام، كان للحافظ بن حجر العسقلاني المتوفي

-٢٠- منزل الابرار بالعلم المؤثر من الأدعية والأذكار، موضوع هذا الكتاب الأدعية والأذكار.
 -٢١- نصب الذريعة إلى تعلية علوم الشريعة، ذكر النواب صديق حسن خان في هذا الكتاب العلوم الشرعية، وجعلها موضوعاً له.
 سائر الكتب المذكورة أعلاه قد طبعت وتوجد في مكتبة ندوة العلماء في جناب النواب صديق حسن خان.

الشيخ فخر الحسن الكنوهي المتوفي سنة ١٢١٥هـ:
 هو من تلامذة الشيخ محمد قاسم النانوتوي البرزاني،قرأ كتب الحديث النبوى الشريف على الشيخ رشيد أحمد الكنوهي، كان وسيماً، ذا خلق حسن، وكان يصرف أوقاته في الماظرة بالنصارى والهنادك.
 توفي في مدينة كانفور سنة ١٢١٥هـ.

له تعليقات بسيطة على سنن أبي داؤد، سماها بالتعليق المحمود، ذكر مؤلف نزهة الخواطر كتابين آخرين له، وهما:
 ١- حاشية تلخيص المقام.
 ٢- حاشية سنن ابن ماجة.

الشيخ ظهير أحسن شوق النيموي البهاري

هو ظهير أحسن بن سبحان علي الحنفي النيموي العظيم آبادي، أحد العلماء البارزين في الفقه والحديث، ولد ونشأ بقرية نيم من أعمال عظيم آباد، اشتغل بالعلم من صغره، ثم سافر إلى لكان، وقرأ على العلامة عبد الحي الفرنجي محلی وعلى غيره من العلماء، وباع الشيخ الإمام فضل الرحمن الكنج مراد آبادي، واشتغل بقرص الشعر مدة طويلة، ثم وفقة الله سبحانه وتعالى لخدمة الحديث الشريف، ولتحول قلبه قصة طريفة، يقول مؤلف نزهة الخواطر: «كان قدر أي ذات ليلة في المنام انه يحمل فوق رأسه جنازة النبي ﷺ، فعبر هذه الرؤيا بأن يكون حاملاً لعلمه، فشمر عن ساق الجد، وعكف على دراسة الحديث (١)».

المحدثون العظام

كان عالى الكعب، واسع الاطلاع، دقيق النظر في الحديث والرجال، ونقد الحديث، ومعرفة علل وطبقاته، درس الحديث بوجهة نظر الحنفية، وحاول تأييد الفقه الحنفي بالسنة المطهرة.

كتب سماحة الشيخ السيد أبي الجسن علي الحسني الندوی عنه فيقول: «إن تأليف الشيخ شوق النيموي هو اضافة جديدة وقيمة إلى الكتب التي ألفت حول علم الحديث في الهند (١)».

مات في نحو سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وألف (٢) صنف الشيخ النيموي «آثار السنن مع التعليق الحسن» (في جزئين) وهو كتاب نادر غريب، ثم علق عليه تعليقاً حسناً، سماه التعليق الحسن على آثار السنن، ثم علق على هذا التعليق تعليقاً سماه «تعليق التعليق» وكل ذلك من أول أبواب الطهارة إلى آخر أبواب الصلاة (٣).

وطبع هذا الكتاب مع ما علق عليه من تعليقات في مجلد واحد ويعتبر من الكتب المهمة القيمة في تأييد الفقه الحنفي، ومن وجهة نظر تحديثية، ولكن مما يؤسف له ان عمره قد حال دون إكمال هذا الكتاب.

إذا كمال وفق إلى إكمال هذا الكتاب لكان ذلك مأثرة علمية من وجهة نظر الحنفية، وعلى الطراز التحديثي.

الشيخ شمس الحق الدیناوي رحمة الله

العالم الكبير والمحدث الجليل الشيخ شمس الحق بن أمير بن مقصود علي ابن غلام حيدر بن هداية الله بن محمد زاهد بن نور محمد بن علاء الدين البكري الدیناوي العظيم آبادي، أحد العلماء العاملين وعباد الله الصالحين، ولد في شهر ذي القعدة سنة ١٢٧٢هـ (٤).

تلقي دراسته الأولى من الشيخ عبد الحكيم، والشيخ لطف علي البهاري ثم سافر إلى لكان في عام ١٢٩٢هـ، وقرأ بعض الكتب الدراسية على الشيخ

(١) هندوستاني مسلم، ص / ٥٠ - الشیخ الندوی.

(٢-٢) نزهة الخواطر، ج / ٨ - ص / ٢٠٧.

(٤) نزهة الخواطر، ج / ٨ - ص / ١٧٩.

المحدثون العظام

خدماته العلمية:

١- عن العبود على سنن أبي داؤد:
هو شرح على سنن أبي داؤد، يحتوي على أربعة مجلدات، ونشرته مطبعة الانصارى في دلهى بحجم كبير في مدة تتراوح ما بين ١٢١٨هـ و ١٢٢٢هـ، ويتضمن ١٩٠٠ صفحة.

ولهذا الشرح منزلة رفيعة من بين الشروح التي الفت على سنن أبي داؤد، لوحظت فيه وجهة نظر مذهب أهل الحديث خاصة: وهو في الحقيقة مرآة للجهود العلمية التي كان قد بذلها الشيخ شمس الحق الديناوى التلميذ الخاص للشيخ نذير حسين، وكان الشيخ قد شرع في تأليف شرح مبسوط مطول على سنن أبي داؤد، وسماه غایة المقصود، ولم يطبع له إلا الجزء الأول، ثم أشرك الشيخ تلميذه محمد أشرف في تأليف هذا الشرح، وتم تأليفه باسم عنون العبود، وجاءت خلاصة غایة المقصود في الجزء الأول لعون العبود.

٢- التعليق المفتى على سنن الدارقطنى:

من آثاره العلمية المهمة أنه نشر لأول مرة بالنظر إلى النسخ الخطوطة، ويقدر نوع التعليقات والحواشى بهذا البيان، «اكتفى فيها على تنقيد بعض أحاديثه وبيان علميته، وكشف عن بعض مطالبه على سبيل الاعجاز والاختصار» (١).

وجاء في مقدمته بمعلومات مفيدة عن الإمام الدارقطنى، ونشرت مطبعة الفاروقى في دلهى هذا الكتاب بحجم كبير في المجلدين سنة ١٢١٠هـ لأول مرة

٣- رفع الالتباس عن بعض الناس:

قامت مطبعة الفاروقى أيضاً بطبع هذه الرسالة التي تحتوي على ٢٤ صفحة، بحجم كبير في عام ١٢١٨هـ، والفت هذه الرسالة في الرد على «بعض الناس في رفع الوسواس» الذي كتب لحضر اعترافات الإمام البخاري الموجهة إلى الحنفية، لكن لا تشم منها رائحة العصبية الحزبية واعترف كثيراً بفضل

(١) التعليق المفتى، ص ٢.

فضل الله بن نعمت الله اللكناوى، ولازمه سنة كاملة، ثم رحل إلى مرادآباد، وقرأ هناك على الشيخ بشير الدين العثماني القنوجى، ولازمه إلى سنة خمس وتسعين، ثم سافر إلى دلهى، وأسند الحديث عن الشيخ نذير حسين الدهلوى، ورجع إلى بلاده، ولبث بها سنتين وثلاثمائة وألف، ثم سافر إلى دلهى، وقرأ على الشيخ المذكور القرآن الكريم والجلالين، والموطأ، وسنن الدارمي، وسنن الدارقطنى، والصحاح الستة، ولازمه ثلاث سنوات، وأدرك هناك الشيخ حسين بن محسن السبعى الانتصارى وأسند عنه (١).

التدريس والاقامة:
ثم رجع إلى بلاده، وعكف على التدريس والتصنيف، والتذكير، وبذل جهده في نصرة السنة، ونشر كتب الحديث (٢).

مساهمته في نشر كتب الحديث:
يقول مؤلف نزهة الخواطر: إن الشيخ شمس الحق كان قد جمع كتبًا كثيرة في علم الحديث، وكان لديه رغبة شديدة في نشر كتب الحديث النادرة «فكان قد أنفق مالا في طبع بعض الكتب وله منه عظيمة على أهل العلم بذلك» (٣).

خلقه وعاداته:
صور العلامة عبد الحي الحسني رحمه الله صاحب نزهة الخواطر خلق الشيخ شمس الحق الديناوى وعاداته، فيقول:

«كان حليماً متواضعاً، كريماً عفيفاً، صاحب صلاح وطريقة ظاهرة، محبًا لأهل العلم» (٤).

رحلته إلى الجزيرة العربية للحج والزيارة:
سافر إلى الحجاز في عام ١٢١٨هـ فحج وزار، وأدرك المشايخ، فاستفاد منهم وأفاد (٥).
وفاته: توفي في ١٩ من ربيع الأول سنة ١٢٢٩هـ (٦).

(١) نزهة الخواطر، ج ٨، ص ١٧٩.
(٢) نزهة الخواطر، ج ٨، ص ١٧٩.
(٣) نزهة الخواطر، ج ٨، ص ١٧٩.
(٤) نزهة الخواطر، ج ٨، ص ١٧٩.
(٥) نزهة الخواطر، ج ٨، ص ١٧٩.
(٦) نزهة الخواطر، ج ٨، ص ١٧٩.

الإمام أبي حنيفة رحمه الله وببراعته، ونبوغه، برحابة صدر.

٤- إعلام أهل العصر بأحكام ركعتي الفجر:

صدر هذا الكتاب في عام ١٢٥٥هـ من مطبعة الفاروقى بحجم كبير، ويحتوى على ٦٧ صفحة. ويدل اسم الكتاب على موضوعه وصرح معظم العلماء بأنه لم تكتب رسالة أحسن منه في هذا الموضوع.

٥- الأقوال الصحيحة في الأحكام النسكية:

بحث في هذه الرسالة حول سنة العقيقة، والأذان عند الولادة بالإضافة إلى ما هو اليوم الأفضل لتسمية المولود وطبعت هذه الرسالة في مطبعة الفاروقى في دلهى سنة ١٢٩٧هـ.

٦- غنية الألعبي:

طبعت هذه الرسالة الموجزة مع المعجم الصغير للطبراني في مطبعة الأنصارى، ودار فيها الحديث عن القضايا الفقهية والحديثية.

٧- تعليقات على أسعاف المبطأ برجال المؤطأ:

هو تعليق وجيز مفيد على الكتاب الشهير المسماى بأسعاف المبطأ الذى ألفه العلامة جلال الدين السيوطي حول رجال المؤطأ، وزيد فيه على السيوطي، ونبأ إلى أخطائه في بعض الأماكن.

٨- النجم الوهابي في شرح مقدمة مسلم بن الحجاج:

هو شرح مبسط على مقدمة الصحيح للإمام مسلم كما يبدو من اسمه.

٩- تعليقات على سنن النسائي:

يولج في هذه الرسالة بعض مشاكل سنن النسائي.

١٠- نهاية الرسوخ في معجم الشيوخ:

ذكر فيه أحوال شيوخه وأساتذته، وسنته.

١١- النور اللماع في أخبار صلاة الجمعة عن الشافع:

يدل اسمه على موضوعه.

١٢- تحفة الجتهدين الأبرار في أخبار صلاة الوتر وقيام رمضان النبي

الختار: جمع فيه الأحاديث عن الوتر وصوم رمضان

الملعون في الهند :

نظرة عامة على أوضاع مسلمي الهند منذ الاستقلال

بقلم : دكتور / ظفر الإسلام خان

كان تقسيم الهند البريطانية إلى دولتي «الهند» و «باكستان» سنة ١٩٤٧م في حقيقة الأمر تقسيماً للطائفة الإسلامية الهندية ، وكان التقسيم ناتجاً عن مطالب الرابطة الإسلامية والخططات البريطانية لستقبل هذه المنطقة ، ولكن حزب المؤتمر الهندي يتحمل نفس القدر من المسؤولية عن تقسيم البلاد . وذلك لانتهاجه سياسة عنجهية وضيقة الأفق تجاه المصالح الإسلامية لأكثر من عقدين من الزمان قبل الاستقلال .

جريدة النخبة :

اندلعت حوادث العنف الطائفية على نطاق واسع في أعقاب التقسيم ، الأمر الذي أدى إلى هجرة غالبية النخبة المسلمة في شمال الهند ، وخصوصاً كبار موظفي الدولة إلى باكستان ، تاركين وراءهم فراغاً لم يملأ بعد .

وكان نحو عشرة ملايين مسلم قد بدأوا هجرتهم من الهند وقتل كثير منهم خلال مرورهم عبر البنجاب وجامو ، وطبقاً للأرقام الباكستانية الرسمية (إحصاء باكستان لسنة ١٩٥١م ١٩٥٢، Census of Pakistan ١٩٥١م) تمكن ٢٧ مليون مسلم هندي من الوصول إلى باكستان بما فيهم نصف مليون مهاجر إلى باكستان الشرقية (بنغلاديش الآن) ، وكان من بين المهاجرين كبار العلماء مثل أبي الأعلى المودودي ، وأمين أحسن الإصلاحي ، والسيد سليمان الندوى ، والقاضي ثناء الله الأمرتسي ، والفتى محمد شفيع .. وفي مقابل هذا هاجر ٤٢٤

مليون هنودي وسيخ من المناطق المخصصة لباكستان خلال سنوات ١٩٤١-١٩٥١م (U.B.Rao, *The Story of Rehabilitation*, Delhi 1967 p.27)

.. وبينما جرى استيعاب وتوطين المهاجرين الهنود والسيخ بنجاح في الهند، لا يزال «المهاجرون» في باكستان مجموعة قلقة لم تندمج بعد في البيئة الجديدة.

وواصلت الهند كراهيتها لباكستان، فعملت في ظل إنديرا غاندي على تقسيمها إلى دولتين بواسطة التدخل العسكري سنة ١٩٧١م، وبالتالي خلقت مشكلة جديدة تعرف بمشكلة «ال المسلمين البهاريين » في بنغلاديش الذين لا يزالون يعانون الأمرين في معسكرات اللاجئين القذرة، يحملون بالوصول إلى باكستان يوماً ما.

والجزء المتبقى من النخبة المسلمة الذي آثر البقاء في الهند، بما فيهم مؤيدو حزب المؤتمر أو الذين لم يكن لهم شأن بالسياسة، فجرى تعريضهم للترويع والإهانات المادية والنفسية، وكان من الإجراءات القمعية قانون أملاك النازحين Evacuee Property Law الذي سن فور الاستقلال وحرم على عازمي الهجرة (أي المسلمين المتوجهين إلى باكستان) أن يبيعوا أملاكهم في الهند.. وبما أن تلك الأماكن كانت عموماً ملكية مشتركة للأسرة فكانت هجرة عضو واحد فقط من أسرة ما تبريراً كافياً لاستيلاء الحكومة على أملاك الأسرة كلها.

وجرى توسيع نطاق هذا القانون توسيعاً كبيراً الدرجة أنه شمل كل مسلمي الهند فلم يتمكنوا لسنوات طويلة قادمة من بيع أملاكهم أو رهنها لانتقال إلى أماكن جديدة داخل البلاد أو بدء أعمال تجارية جديدة، فزاد عدد المسلمين تخلفاً بينما استفاد الهندوس من الامكانيات الجديدة التي تتيحها السيطرة على الجهاز الحكومي ومؤسسات الدولة، وكانت هجرة عضو واحد أو حتى مجرد الإشاعة بعزمها على الهجرة تبريراً كافياً ليستولي «الحارس على أملاك النازحين» Custodian of Evacuee Property على أملاك الأسرة.

نظرة عامة على أوضاع مسلمي الهند ..

عدد السكان المسلمين:

كانت نسبة المسلمين بين سكان الهند المتحدة أي قبل الاستقلال تبلغ ٢٤٢٨ في المائة من مجموع التعداد الكلي للسكان طبقاً لإحصاء سنة ١٩٤١م، وانخفضت هذه النسبة إلى ٩٩١ في المائة طبقاً لإحصاء ١٩٥١م الذي جرى فيه تخفيض أعداد المسلمين بصورة متعمدة، أما نسب المسلمين بين السكان طبقاً للإحصاءات التالية فهي كما يلى: ١٠٧ في المائة (١٩٦١م) و ١١٢١ في المائة (١٩٧١م) و ١١٢٥ في المائة (١٩٨١م)، وهي تمثل زيادة في تمثيل المسلمين بين السكان بنسبة ٤٤٪ في المائة على أرقام ١٩٥١م.

وطبقاً لإحصاء سنة ١٩٨١م يمثل المسلمون الغالبية في عشر مدیريات داخل البلاد هي مرشد آباد بولاية البنغال الغربية، وكوبوارا، وبارامولا، وبودغام، وبولواما، وأننت ناغ (إسلام آباد)، وسري ناغار، وكرغيل، وبونتش، ودودا بولاية جامو وكشمير.

وكان تعداد مسلمي الهند طبقاً لإحصاء سنة ١٩٨١م يبلغ ٧٥٥١ مليون نسمة، وكان السفير الهندي بباكستان قد قال في سبتمبر ١٩٨٨م أن عدد المسلمين في الهند قد بلغ ١١٨ مليون نسمة، بينما يقدر المسلمون أنفسهم أن تعدادهم الحالي لا يقل عن ١٥٠ مليون بأي حال من الأحوال.

ابتزاز:

تعرض المسلمين طويلاً لابتزاز نفسي على يد جماعات هندوسية زعمت أنهم كانوا المسؤولين عن تقسيم البلاد، وأن النتيجة النطقية للتقسيم هي أن يهاجر المسلمون إلى الدولة الجديدة، واستغل حزب المؤتمر المسلمين ثلاثة عقود واستخدمهم كـ «مصرف لأصوات الناخبين» 'Vote bank' (وهو مصطلح هندي يعني وجود مجموعة ما تؤيد حزباً معيناً تأييدها أعمى بغض النظر عن أعماله وسياساته).

وأستونفت السلسلة الامتناهية من الااضطرابات المعادية للمسلمين (التي توصف في الهند بـ «الاضطرابات الطائفية» للتخفيف من تأثيرها) مرة أخرى في أوائل الستينيات بعد أن كانت قد خدمت عقب الاستقلال بقليل،

نظرة عامة على أوضاع مسلمي الهند ..

ذبح البقرة . وطابع الأقلية (أي الطابع الإسلامي) لجامعة عليكراه الإسلامية الذي ألغى سنة ١٩٦٥م وأعيد سنة ١٩٨١م بعد احتجاج إسلامي كبير . وقضية شاه بانو والقانون المدني العام لكل الطوائف (بدلاً من قانون الأحوال الشخصية الإسلامية بالنسبة للمسلمين) والمسجد البابري وغيره من المساجد التي يزعم غلاء الهندوس أنها بنيت على أنقاض معابد هندوسية هدمها المسلمون خلال حكمهم . وضع كشمير ، ومن هذه القضايا الجانبية ، التي أثيرت بصورة لافتة للنظر ، قضية الفتاة أمينة ، الصغيرة السن ، من حيدرآباد التي تزوجها شيخ عربي مسن . والغرض من إثارة هذه الحملات المفتعلة هو أن يظل المسلمون دوماً في حالة الدفاع ليتمكن ابتسارهم نفسياً ولتحويل اهتمامهم عن مشكلاتهم الحقيقة . ليظلو دوماً طائفة فقيرة وأمية ومجده لا تقوى على الإبداع وتغيير واقعها ، إن وجود طائفة ساخطة تذير شوم لأي بلد ، ولكن هكذا يريد بعض الناس أن يبقى مسلمو الهند ، غير مبالين بمصالح بلدتهم وتقديرها .

مخططات فاشية : كان البو فيسور شكيل الرحمن ، وهو نائب بالبرلمان ، وقد سبق له شغل منصب مدير لعدد من الجامعات ، وكان وزيراً بحكومة تشاندرا شيخر خلال سنوات ١٩٩٠-١٩٩١م قد كشف في أغسطس سنة ١٩٩٠م أن منظمة (ويشاوهندو پريشاد . V.H.P) وهي من منظمات غلاء الهندوس ، قد دربت خطة إرهابية ضد المسلمين في الهند بالتعاون مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وتتضمن الخطة تقديم هذه الوكالة مبلغ ١٤٠ مليون دولار لهذه المنظمة ، وقيل إن بعض كبار رجال الأعمال الهنود هم الآخرون سيعلنون هذه الخطة ببالغ كبيرة ، وقد أحالت هذه المنظمة خطة « شودهي » (تطهير) القديمة التي تقضي بإجبار مسلمي الهند على اعتناق الهندوسية باستخدام وسائل القهر الاحتفافي والترغيب المادي ، وقال تقرير صحي نشر مؤخراً : إن هذه المجموعة نجحت في حمل مئات الآلاف من المسلمين على الارتداد (صحيفة بايونير The Pioneer دهلي ، ٥ / يناير ١٩٩٢م) .

وجاءت هذه الاضطرابات الجديدة لتهز اعتقاد المسلمين بأن حزب المؤتمر هو حاميهم المدافع عن حقوقهم ، وأدى ظهور بنغلاديش وما نجم عنه من تقليل شوكة باكستان العسكرية والسياسية إلى ترسيخ إرادة مسلمي الهند ليركزوا على تنمية أنفسهم وتطوير طاقاتهم بدون التطلع إلى تأييد خارجي ، وتجاوزات « فترة الطوارئ » التي أعلنتها إنديرا غاندي خلال سنوات ١٩٧٥-١٩٧٧م بما فيها التعقيم الإجباري للمسلمين والمسلمات في شمال الهند وهدم مناطقهم (مثل تركمان غيت بدھلی) بحجة تجميل المدينة أزالت آخر العقد التي كان المسلمون يعانون منها على المستوى النفسي .

وفي الوقت نفسه كان جيل جديد - جيل ما بعد الاستقلال - (أي جيل كاتب هذه السطور) في طور الظهور . ومسلو هذا الجيل الجديد لا يعانون من أية عقدة نفسية أو شعور بالمسؤولية إزاء التقسيم ، وهم بالتالي لا يعانون من أية وخزة ضمير تؤنبهم على ما حدث قبل ولادتهم ..

وأدى هذا الجو الجديد إلى نبذ المسلمين لحزب المؤتمر في انتخابات ١٩٧٧م التي جاءت في أعقابها أول حكومة مركبة لغير حزب المؤتمر ، وكانت هذه الحكومة الجديدة تتألف من اتحاد لعدد من الأحزاب السياسية المؤمنة بأيديولوجيات متنافرة ومؤلفة من زعماء يعانون من أنانيات طاغية وطموح شخصي عظيم ، وسرعان ما سقطت هذه الحكومة وأجريت انتخابات جديدة سنة ١٩٧٩م فعاد حزب المؤتمر إلى الحكم من جديد بزعامة إنديرا غاندي ، وكانت هذه المرأة معروفة بحبها للانتقام ، فقررت تجاهل المسلمين وغيرهم من الأقلية وبدأت تتودد إلى الغالبية الهندوسية وأخذت تنتهج سياسة هندوسية نشيطة .

لقضايا : بعض المجموعات التي تستفيد من الخصم بين الطائفتين الهندوسية والسلمة تظل تكتشف قضايا مفتعلة يمكن وصفها بـ « لقضايا » وذلك لدفع المسلمين إلى الاغتراب أكثر فأكثر عن مسيرة البلاد ودفعهم إلى الهاشم وإشغالهم بقضايا جانبية ، ومن هذه « اللقضايا » التي أثيرت وأستغلت استغلالاً بشعاً لتهميș المسلمين : قضية

نظرة عامة على أوضاع مسلمي الهند ..

دوائر شاندي شوك (بدملي) ورامبور وأمروده وبريلي وعليكراه وأغرا وبهرايش الخ، وسبب ضياع أصوات المسلمين في دوائر كهذه هو ترشيح عدد منهم على قوائم مختلف الأحزاب أو كمستقلين، فتتوزع أصواتهم على عدد من المرشحين بينما تذهب أصوات الهندوس لرشح واحد، وقالت بعض التقارير إن حزب بهارتيا جانتارشا بعض المسلمين ليترشحوا في الانتخابات كمستقلين وذلك لهدر أصوات المسلمين في هذه الدوائر.

والسلون عنصر ملحوظ في نحو مائة دائرة انتخابية نيابية وهم منتصف الثمانينيات، وقويت هذه الحركة أكثر بإقدام السلطات على فتح المسجد البابري بأيودهيا (الفتacb منذ ١٩٤٩م) لعامة الهندوس في ١/فبراير ١٩٨٦م، واستفاد منها حزب بهارتيا جانتا الهندي الفاشي ففاز نصبه في البرلمان من مقعدين إلى ٨٤/مقعدا في الانتخابات النيابية سنة ١٩٨٩م ثم إلى ١١٨ / مقعدا في انتخابات ١٩٩١م، كما نجح هذا الحزب في إحراز الأغلبية في البرلمانات الإقليمية لولايات مادهيا

براديش وهيماتشال براديش راجستان سنة ١٩٨٩م واتر براديش (التي هي أهم ولاية هندية) سنة ١٩٩١م، وهو وبالتالي يحكم هذه الولايات، وكان هذا الحزب قد عقد تحالفاً مكتشفاً مع حكومة وي. بي. سينغ (١٩٨٩-١٩٩٠م) وهو في حالة تحالف غير مكتشف مع حزب المؤتمر

الحاكم هذه الأيام، وهناك اقتراحات من مختلف الدوائر لعقد تحالف مكتشف بين حزب بهارتيا جانتا وحزب المؤتمر الذي استوعب بالفعل مجموعة خرجت من حزب هندي فاشي مماثل، وهو حزب شيوسينا، بوليا مهاراشترا بغرب الهند، وأصبح (بهوجبال) رئيس هذه المجموعة وزيراً بحكومة الولاية التي يحكمها حزب المؤتمر.

تفاوت في صفوف المسلمين: كانت الانتخابات النيابية الأخيرة التي عقدت في يونيو ١٩٩١م قد أكدت مرة أخرى على أن الشقاق الداخلي هو أكبر أعداء مسلمي الهند، وكان حزب بهارتيا جانتا قد تمكن من الفوز حتى بالدوائر الانتخابية التي يتمتع المسلمين بها بثقل ملحوظ مثل

وكانت حركة الإحياء الهندوسية وجدت قضية مثيرة لبعث الحياة في نفسها وإثارة الغوغاء بعد اعتناق منبودي قرية ميناكيши بورام بجنوب الهند للإسلام سنة ١٩٨١م،

وكان من جراء هذا أن نشطت الحركة المطالبة بتحويل المسجد البابري إلى معبود راما، وتمت بناءه رسمي مكتشف وغير مكتشف، وتمت هذه الحركة التي وصفت ببردة الفعل الهندوسية Hindu backlash ببركات إنديرا غاندي، رئيسة الوزراء آنذاك، فتحولت إلى عاصفة في منتصف الثمانينيات، وقويت هذه الحركة أكثر بإقادام السلطات على فتح المسجد البابري بأيودهيا (الفتacb منذ ١٩٤٩م) لعامة الهندوس في ١/فبراير ١٩٨٦م، واستفاد منها حزب بهارتيا جانتا الهندي الفاشي ففاز نصبه في البرلمان من مقعدين إلى ٨٤/مقعدا في الانتخابات النيابية سنة ١٩٨٩م ثم إلى ١١٨ / مقعدا في انتخابات ١٩٩١م، كما نجح هذا الحزب في إحراز الأغلبية في البرلمانات الإقليمية لولايات مادهيا

براديش وهيماتشال براديش راجستان سنة ١٩٨٩م واتر براديش (التي هي أهم ولاية هندية) سنة ١٩٩١م، وهو وبالتالي يحكم هذه الولايات، وكان هذا الحزب قد عقد تحالفاً مكتشفاً مع حكومة وي. بي. سينغ (١٩٨٩-١٩٩٠م) وهو في حالة تحالف غير مكتشف مع حزب المؤتمر

نظرة عامة على أوضاع مسلمي الهند ..

في تدهور مستمر منذ الاستقلال).

خامساً : أزمة القيادة ، يعاني مسلمو الهند من زعماء أثنين يستغلون المسلمين لآرائهم الخاصة.

ولاشك في أن الكثير من اللوم يقع على الطائفة الإسلامية نفسها التي يجب عليها أن تحاسب نفسها وأن تنجز الكثير بعباراتها الخاصة وجهودها الذاتية.

أما مطالب المسلمين الرئيسية فيمكن إيجازها بما يلى :

أولاً : تسوية النزاع حول المسجد البابري تسوية ودية ، وإن تعذر ذلك فبحكم محكمة قضائية عالية.

ثانياً : إنشاء قوة لكافحة الاضطرابات بتمثيل إسلامي معقول وتسريح الشرطة الإقليمية المسلحة السيئة السمعة كقوة معاذية للمسلمين.

ثالثاً : حماية أملاك الأوقاف الإسلامية وتوفير الضمانات لاستخدامها بصورة صحيحة.

رابعاً : تمثيل المسلمين في وظائف الحكومة ومقاعد المجالس النيابية الإقليمية والبرلمان المركزي بما يناسب نسبتهم بين السكان.

خامساً : حماية اللغة الأردية وتنشيطها.

سادساً : عدم التدخل في قوانين الأحوال الشخصية الإسلامية.

ويوافق حزبا المؤتمر وجانتا دل ، بصورة عامة ، على هذه المطالب ، ولكن هذه الموافقة لم تترجم إلى خطوات ملموسة.

ولم تعلن بعد - ناهيك أن تنفذ - توصيات لجنة غوبال سينغ ، التي عينتها إنديرا غاندي سنة ١٩٨١م للنظر في أحوال الأقليات ، وبرنامج

إنديرا غاندي المكون من ١٥ نقطة لرفع أحوال الأقليات الذي هلل له كثيراً لا يزال في معظمها حبراً على ورق ، واللغة الأردية ، التي كانت لغة

الاتصال بين أنحاء شبه القارة الهندية قبل التقسيم وهي لغة جميلة ومتطوره جداً ، نظروا إليها على أنها لغة المسلمين وحدهم وبالتالي خنقواها من الناحية العملية.

١٩٧٨م حين بلغ ٧٤٦ في المائة ، بينما المسلمين يمثلون أكثر من ١١ / في المائة من السكان ، وكانت نسبة المسلمين بهذا الكادر النخبوi يبلغ ثلاثة في المائة فقط سنة ١٩٨١م ، وكانت نسبتهم بين كادر الشرطة النخبوi (خدمة الشرطة الهندية Indian Police Service) تبلغ ٢٩ في المائة فقط في نفس السنة ، وكانت نسبة المسلمين بين ضباط الضرائب على الدخول تبلغ فقط ١٢ في المائة خلال سنوات ١٩٧١م - ١٩٨٠م ، وكانت تبلغ ٢٧ في المائة ، فقط في خدمة المرور والمحاسبة التابعة للسكك الحديدية Railway Traffic and accounts Service وكانت نسبتهم تبلغ ٢٢ في المائة فقط في المصارف ، وكان تمثيلهم في وظائف حكومات الولايات والحكومة المركزية بنسبة ستة في المائة و٤٤ في المائة على التوالي في الفترة نفسها ، وفي مقابل هذا كان تمثيل السيخ والمسيحيين في هذه الخدمات بحسب تفوق كثيرة نسبهم بين السكان في البلاد ، وغالبية المسلمين عمال فقراء أو صغار الفلاحين أو حرفيون ، ونصيبهم من التجارة والصناعة أقل بكثير من نسبتهم النبوية بين السكان .

مشكلات ومطالب :

يمكن تلخيص أهم مشكلات مسلمي الهند من خلال وجهة نظرهم على النحو التالي :

أولاً : تعرض شخصيتهم الإسلامية للطمس المستمر ومحاولات النيل من قوانين الأحوال الشخصية الإسلامية.

ثانياً : الأمية (نحو ٧٠ مليون مسلم ، وخصوصا النساء ، أميون على وجه التقدير).

ثالثاً : انعدام الأمن في مواجهة ما يسمى بالاضطرابات الطائفية وهجمات الشرطة الإقليمية المسلحة المتعصبة على المسلمين . ويقدر أن

١٥٥٠ اضطراضاً معاذياً للمسلمين قد تفجر في البلاد خلال سنوات ١٩٤٧-١٩٩١م . ويبلغ المعدل الحالي اضطراضاً واحداً كل يوم .

رابعاً : البطالة (نسبة المسلمين المستخدمين في القطاعين العام والخاص

المستقبل: أيام عصبية تنتظر مسلمي الهند في المستقبل القريب، وقد أخر غلاة الهندوس الممثلون في منظمة ويشاوا هندو باريشاد تاريخ بدء بناء المعبد المقترن بأبيودهيا فأعلنوا أنه سيبدأ هذه المرة في وقت ما في الشهر القادم (فبراير) وخطتهم هي تمديد القضية لأكثر مدى ممكن، وذلك لتعبئة التأييد الهنودسي لحزب بهارتيا جانتا ، وإشغال الطاقات الإسلامية وهدرها.

والمطلوب من المسلمين أن يمارسوا أقصى قدر من التحمل وكبح الذات في مواجهة هذا التحدى المستمر لقوانين البلد. ولا ينبغي معاملة قضية المسجد البابري كقضية إسلامية بحثة، فهي في حقيقة الأمر قضية أناس خارجين على القانون يتحدون سلطة الدولة ويرفضون أن يكون للحاكم القضائية دور فيها، وكان كليان سينغ، كبير وزراء اترا براديش، وهو زعيم حزب بهارتيا جانتافي الولاية، قد قال مؤخرا في حديث صحفى: إن المعبد المقترن سيبني بغض النظر مما تقوله المحاكم . ولا ينبغي للمسلمين أن يهدروا طاقاتهم في مواجهة هذه العصابات الفاشية، فينبغي أن يتركوا هذا الأمر للدولة المناطب بها المحافظة على قوانين البلاد وضمان حكم القانون، وينبغي على المسلمين أن يوجهوا اهتماماتهم نحو أخطار أكبر تؤثر في وجودهم مثل الأمية، وضياع القيم الإسلامية بين أفرادهم ومجتمعهم ، والفقر ، وهي مشكلات تهدد وجودهم ذاته ، وينبغي علينا أن نقيم الجسور مع الهندوس الذين ليست غالبيتهم طائفية أو مغالية وحاذدة، لقد فشلنا بكل وضوح في الوصول إلى هؤلاء.

والأسلوب الوحيد للتقدم، كما أظهره يهود المهر واليابانيون، هو أن نلوم أنفسنا وأن نقوم بجهود إيجابية وهادفة بدقة في كل الميادين التي نعاني من التخلف فيها أو نشكوك منها، ولا يمكن لأي قدر من الحقد والتمييز أن ينجح لو كان المنافس عنيدا وأفضل من غيره، وهناك مجالات رحبة مفتوحة للتنافس كالتعليم والعلوم والتكنولوجيا والصناعة والتجارة حيث ينجح الأفضل بغض النظر عن لون جلدته أو عقائده.

درس وعبر من خلال رحلات العلم والعمل

دكتور محمد لقمان الأعظمي الندوبي

إن من نعم الله الكثيرة على أن نشأت وتربيت في أحضان العلم والعلماء، في واحدة من واحات اللغة العربية في أعماق الهند في دار العلوم لندوة العماما، بل كانوا ، فبها تعلمت منذ نعومة أظفاري اللغة العربية القراءة في كتب أستاذي أبي الحسن الندوبي - بارك الله في عمره وع - - مثل كتاب قصص النبيين ، والقراءة الراسخة والمخارات ، وفي كتاب الحاوية العربية للأستاذ محبوب الرحمن الأزهري.

وكنت مولما بمحالسة العلماء والتردد إلى مجالسهم الحافلة بالعلم والتربيـة والقدوة الحسنة، ومنها مجالس أستاذـي أبي الحسن علي الندوـي، التي كان يعقـدها بعد العـصر في سـاحة مـبنـى الضـيـافـة وـكانـت أـشـبهـ بـنـدوـة مـفـتوـحةـ لـكـلـ مـنـ أـرـادـ الاستـفـسـارـ عـنـ الـعـلـمـ وـالـعـلـمـاءـ وـالـقـضـائـاـ العـاصـرـةـ، فـكـانـتـ بـابـاـ مـنـ أـبـوـابـ الـهـدـىـ، وـعـلـىـ يـدـيـهـ الـكـرـيمـيـنـ تـلـقـيـتـ دـورـسـاـ فـيـ الأـدـبـ وـالـإـنـشـاءـ، وـدـرـسـتـ الشـرـيـعـةـ عـلـىـ يـدـيـ خـيـرـةـ الـعـلـمـاءـ وـالـشـاـيخـ، وـعـلـىـ رـأسـهـ سـماـحةـ الشـيـخـ الـمـحـدـثـ حـبـيبـ الرـحـمـنـ الـأـعـظـمـيـ، فـقـدـ قـرـأـتـ وـدـرـسـتـ عـلـيـ صـحـيـحـ الـبـخـارـيـ.

الرحلة في طلب العلم خارج ديار الهند:

لقد حق الله -عز وعلا- لي أعز أمنية راودتني منذ الصفر أمنية الرحلة إلى مصر حيث الأزهر ومتابع العلم والمعرفة، وكان ذلك على يدي الدكتور الشيخ عبد المنعم النمر - رحمه الله - في الأعوام الأخيرة من العقد الخامس من القرن العشرين الميلادي.

دروس وعبر من خلال رحلات العلم والعمل

العلي التربوي أثر بالغ في إنجاز رسالته ثم نشرها تحت عنوان «مجتمع المدينة النورة في عصر النبوة كما يصوره القرآن». وقد لاختط في أثناء اقامتي في مصر التي امتدت من عام ١٩٥٨م إلى عام ١٩٦٦م ، والتي وجدت فيها فرصة عظيم للاجتماع بالشباب المسلم خلال حركة الحياة من حولها - مالصر الكنانة من مكانة في القيادة الفكرية والريادة الأدبية والثقافية في العالم العربي.

كانت اقامتي في مصر نافعة ممتعة علياً وفكرياً وأدبياً واجتماعياً إذ عشت فيها حقبة، كانت مصر عاصمة بالأدباء والنقاد والعلماء والداعية.

كان هناك نشاط ملحوظ في بيئه المفكرين والأدباء . . . مجال الأدب والثقافة ، كانت ندوة العقاد ، وكانت محاورات ومطارحات الأستاذ الشوربجي وعبد الحفيظ دياب فيها وغيرهما تضفي عليها فيضاً من الحيوية والطراوة والمعنوية.

وكان في مجال الفكر الإسلامي والدعوة مجالس السماحة الداعية العلامة الشيخ محمد الفزالي ، ومالشاركة تلميذه المبارك فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي من أثر بالغ في اذكيائها واسرارها وكذلك الشيخ المطراوي بارك الله في عمرهم وعملهم.

وكانت ندوة القصبة وتوجيهات الناقد الأستاذ مصطفى السمرقى وأنشطه جمعية الشبان المسلمين ومحاضراتها وتعليقات الشيخ الدكتور أحمد الشرباص - رحمه الله - وكانت مناقشات رسائل الماجستير والدكتوراه ، من أبرز مظاهر العلم والأدب والثقافة.

في هذا العالم الزاخر بالثقافة والفكر والعلم عشت تسعة أعوام وكان من بعدها فيض النعمة الخنسى ، إذ من الله - عز وعلا - على بنعمة الرحيل من مصر الكنانة إلى معقل العروبة والإسلام الديار السعودية فكان الوصول إلى أعرق مدينة في ديار نجد ، وبين جبلين عريقين شامخين إلى مدينة حائل عروش الشمال ومثابة الكرم والرجولة وحيث الجمال والضيافة والنظافة.

مكثت في القاهرة قرابة تسعة أعوام حافلة بتلقي العلوم والثقافات وبلقاءات العلماء وبالجماعات الثقافية وبربط الصلات والعلاقات بمختلف الأوساط الفكرية والثقافية الخيرة ، وفي خلال تلك الأعوام التسعة حصلت على درجة العالمية مع اجازة التدريس من جامعة الأزهر وعلى ليسانس وماجستير من جامعة القاهرة ثم حصلت على الدكتوراه من جامعة القاهرة أيضاً.

كنت حريصاً على أن أجمع بين رأفين من روافد العلم والثقافة في مصر من جامعة الأزهر أعرق الجامعات في العلوم الإسلامية والعربية ، ومن جامعة القاهرة أعرق الجامعات العربية في الثقافة والعلوم المدنية ، وكنت إلى جانب هذا أتردد على عالمين من عوالم العلم والثقافة عالم العلوم الدينية والدعوة متمثلاً في الشيخ العالم أستاذ محمد الفزالي في شارع الأزهر ، والشيخ الفقيه العالم محمد أبي زهرة في بيته في مصر الجديدة وعالم الثقافة والعلم والعرفة ممثلافي الأستاذ الدكتور يوسف موسى في بيته في منيل الروضة ، وكنت شديد العناية ب المجالس الأستاذ عباس محمود العقاد التي كانت تعقد صباح كل يوم جمعة في شقته في مصر الجديدة وكانت شقته تمثل مكتبة عاصرة بالمصادر والمراجع في شتى العلوم والمعارف والثقافات من عتبة باب الشقة إلى غرفة نومه ومطبخه.

ومن خلال ترددني على منازل العلماء في مصر وجلوسي في مكتباتهم ومجالسهم نشأت فكرة العناية بتأسيس المكتبة الخاصة ، وهي حسنة ميمونة كانت ومازالت في ديار الكنانة ، وفي مصر نجد بيت الأستاذ العلامة محمود شاكر ومكتبه الراخمة بالمطبوعات والمخطوطات القيمة النادرة وهي مفتوحة لرواد العلم وطلاب الدراسات العليا ، وهي تغنى عن كثير من المكتبات العامة الرسمية ، وكذلك بيت أستاذ الدكتور شوقي ضيف وهو مكتبة ضافية شاملة تستوعب جميع ساحات بيته ، ومثله (فلة) الدكتور عبد العزيز الأهوازي وأستاذ الغالي الدكتور يوسف خليف الذي اكرمت بشرف اشرافه على بحثي لنيل درجة الدكتوراه فكان لإشرافه الدور وأسلوبه

دروس وعبر من خلال رحلات العلم والعمل

وكان يجتمعنا يوم عرفة وأيام التشريق مخيم كبير تحت إشراف فضيلة الداعية سماحة المربى الشيخ عبد العزيز بن باز.

لقد كان هذا المخيم مدرسة إسلامية تربى فيها الدعاة تحت قيادة الشيخ، فقد كان موجهاً ومربياً يعطي جرعات العلم والمعرفة بأسلوب حكيم، فكانت توجيهاته البناءة عاملًا أساسياً في تصحيح الفكر والمسار والالتزام بسنة الرسول ﷺ، ويروح الإسلام الصافية بعيدة عن انزلاق الفكر، ومجانبة الحق. كما أني لأنسى تأثير فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين في رفع معنوياتي، وتزويده إياي بزاد الفقه والمعرفة أيام إشراقه علينا في موسم التوعية للحج في ميناء ومطار جدة، وقد أفادتني هذه اللقاءات المباركة خبرة بمشاكل العالم الإسلامي وجهود العلماء في حلها.

كما كان للتنقل بين منافذ الملكة التي يقدم منها الحجيج أثر كبير في التعرف على المسلمين في شتى بقاع العالم الإسلامي، وخلال الاستفتاء والافتاء والنقاش والتوجيهات تعرفت على أبعاد عالية الدعوة، ومعاني الاخوة ومفاهيم «وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا» الشاملة، وحرى بالتنوية أنني قضية حقبة طويلة من الزمن في هذا العمل المبارك ثم اعتذرت عنه بسبب ظروفه الصحية، ولا زلت أقطف ثمار هذا العمل في سبيل العلم والدراسة، وفي ميدان التربية و مجال التأليف، وقد حرصت على أن أربي طلابي على حب العلم والمعرفة، والحرص على اقتناء الأسفار، والاتصال بالعلماء والدعاة وتكوين المكتبات الخاصة بهم في منازلهم، وحرصت على توجيههم إلى ما ينفعهم من خزائن المعرفة مثلاً تلقيت عن أشيافي وأساتذتي في الهند وفي مصر وفي السعودية، فمعايشة العلماء في مجالسهم يهدي بها الله عز وعلا إلى خير كثير، ويفتح بها أبواباً واسعة من الثقافة والفكر والأدب والعلم والقدوة الحسنة؟

وإنه لمن عين الطالع أن يفتح الله على هذا الباب فأتعرف على أبرز علم من أعلام الفكر الإسلامي أثناء أحد رحلاتي في عمان، وعلى رائد من رواد النهضة الإسلامية الحديثة على سماحة الشيخ الداعية محمد محمود الصواف ثم كان

كان في حائل استقبال وآكرام أعيانها وعيونها، فضيلة الشيخ عيسى سعود العلي، والأستاذ المرحوم إبراهيم الخياط والأستاذ عبد الرحمن الملق، والأستاذ زامل السبهان وغيرهم من كبارها وأعيانها وكان استقبالهم استقبال الأجاويد للغريب الحبيب، فإذا البشر والرحاّب والعطاء والسمو والشرف روافد زاخرة تدفق من أنهارهم وبحارهم، وكان أن عملت تحت إشرافهم في معهد المعلمين الابتدائي ثم المتوسط ثم في معهد المعلمين الثانوي، وكان لي شرف العمل في المكتبة العامة بحائل فأعانني الله تعالى - فنظمتها، ثم كان الفيض الأكرم أذ عملت وما زلت رئيساً لقسم الدراسات الإسلامية في كلية إعداد المعلمين في حائل، فكان الحرص على أن أقضى من دين آباء شبيبة هذا البلد على إلى طلبة العلم فيها، فكنت وما زلت بحمد الله أقدم ما أكرمني الله - عز وعلا - من معارف وعلوم وخبرات حياة فكرية وعلمية واجتماعية، وكان ل الكريم أخلاق الأنجال والأحفاد من أجاويد حائل أثر بالغ في عطائي واشراق نفسي واطمئنان فؤادي في بلاد التوحيد والأمن والأمان طيلة ربع قرن من الزمان.

ومن أجل ما من الله به على خلال حياتي في مجال الدعوة أن صدرت الموافقة السامية على اختياري مع أربعة وسبعين من مشاهير العلماء في العالم الإسلامي للتوعية الإسلامية في موسم الحج سنة ١٢٩٢هـ. نشر هذا الخبر السامي في العدد (٤٢٩) من جريدة الدعوة بتاريخ ٩ من ذي القعدة سنة ١٢٩٢هـ.

وقد كان لهذا الخبر السعيد أعظم الآثار في نفسي، فقد كان خطوة مباركة نحو الانضمام إلى ركب الدعاة المرموقين في تلك البقاع المباركة التي كان يلتقي فيها الرسول الكريم بالوفود لنشر الدعوة الإسلامية، ففي ذلك إحياء وذكرى لسنة الرسول ﷺ.

لقد كان دورنا متمثلاً في إقامة المحاضرات وعقد الندوات للتوجيه حجاج بيت الله الحرام الوجهة السليمة، وغرس مفاهيم التوحيد في نفوسهم خلال شرح الناسك.

اللقاء الثاني في ساحة الحرم المكي فاذا بالشيخ المربى يشمنى بعطفه الصميم ويغمرنى بأبهى معانى الاخوة، ويوفقه الله أن يذلل لي سبل عمل التدريس فى ديار الحرمين - وأن يزور - مدينة حائل مبعوثاً ومرشداً حيث لازمه ملازمة الظل وعرفته مجاهداً مناضلاً يسعى لترسيخ أركان الدعوة الإسلامية بوجهها التربوي والسياسي.

وعرفته البلاد العربية الإسلامية رائداً عظيماً من روادها، كما عرفته سياسياً نافذ النظرة ، وكتابه (رحلاتي إلى الديار الإسلامية) نموذج للدبلوماسية الإسلامية المباركة، وأياديه البيضاء على أكثر من أن تعدد، ولا أملك إلا أن أدعو الله له بالتوفيق والسداد وبطول العمر والعمل الصالح وأن يحفظه في حله وترحاله.

فقد قضى قرابة نصف قرن من الزمان على طريق الدعوة، يدعو ويربي ويؤاخى وينظم ويجاهد ويكافح ويحض العاملين على التعاون وتضافر الجهود والاعتصام بحبل الله المtin، ويهاجر ويسافر وينتمي إلى أسرة الدعوة في كل مكان وبلد.

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنى
 وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا
 وإن كانت النعمى عليهم جزوا بها
 وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا



صور وأوضاع :

قبل أن تخسّع الفرصة للدعوة

واضع رشيد الندوى

كان سقوط النظام الاشتراكي في الاتحاد السوفيتي الاشتراكي، والدول الأوربية الشرقية، مبعث سرور وابتهاج لأنَّه كان يعادي الدين، والقيم الخلقية، قبل أن يعادي عدوه الرئيسي الرأسمالية، فاعتبر رجال الدين سقوط هذا النظام حادثاً تاريخياً وأبدوا ارتياحهم به، واعتبروا هذا الحادث مؤشراً إلى عودة الدين إلى هذه البلدان التي عاشت أكثر من سبعين سنة في حرمان من الفرص، لتأدية الشعائر الدينية بحرية، وواجهت عداء سافراً وحملة مكثفة ضد الدين، وبدأ النشاط الديني بعد إعلان الرئيس السابق جورباتشوف بمنع الحرريات الدينية، وتتدفق الكتب الدينية، وفتحت المعابد، والمدارس والكتاتيب الدينية، وأقبل العلماء والرهبان، والدعاة، من مختلف الأديان السماوية، على تجديد معابدهم ومراكمهم وإحياء معالمهم، وكان في مقدمة هذه الأديان النصرانية التي انتهت هذه الفرصة بدعم حكومات أوروبا الغربية.

اعدت النصرانية الخطة لمواجهة هذا الوضع قبل سقوط النظام الاشتراكي، وحصلت على بعض الترخيصات، والتسهيلات للعمل في مختلف المناطق في سقار المساعدة التي كانت تقدمها الدول الأوربية، في آخر عهد الرئيس السابق جورباتشوف، فلما اطلقت الحرريات الدينية، فتحت الكنائس أولاً، واستأنف الجمعيات التبشيرية نشاطها، وحصلت على مساعدات ضخمة من الدول الأوربية، ولم يتمتع المسلمين بهذه الحرية

صور وأوضاع

معيشه ، ويذور الرهبان ، أو ساط الفقراء والصابرين ، ويتكلون معهم بلغتهم . يواصلون أعمالهم بوسائل متوفرة لديهم ، كان المسلمين في ضيق شديد ، فلما أرادوا إعادة المساجد في مناطقهم لم يكن لديهم وسائل البناء ، فكان

وقد ذكر أحد الدعاة المسلمين من أفرادياً أن المبشرين أقاموا في بعض المناطق الإسلامية كنيسة في شكل مسجد ، أو مبني بجوار مسجد فيه تسهيلات للوضوء ، والطهارة ، والمسجد لا توجد فيه هذه التسهيلات فيدعون المسلمين إلى أن يزوروا ذلك المبني ويستريحوا فيه وإذا أرادوا يتوضأوا أو يغسلوا ينتربوا إليهم . ثم يعرضون عليهم تعاليم دينهم التي لا تتعارض مع الإسلام ويتعاطفون عليهم فيأنس إليهم المصلون ، وتنشأ بينهم صلات ، وبهذا الطريق تناج لهم فرصة لدعوتهم ، في مناسبات مختلفة ، وفي هذه المناسبات يصادف المسلم ثقافة عالية ، ومستوى رفيعاً ويدرك أنه إذا انضم إلى دين صاحب هذه الثقافة تغير وضعه ، وارتقت مكانته ، وفتحت أمامه مجالات للتقدم والرقي ، وقليل من الناس من يفرق بين الحق وغير الحق ، وبين الدين والدنيا ، ويغلب على مطامع نفسه .

أما الداعي المسلم فهو يلقى كلمته في المسجد ، في مناسبة خاصة إذا دعى إليه ثم لا تكون له أي صلة بالمدعو ، وبسائل حياته ، ولا يهمه أن يتغير حاله ، ثم إن المبشرين خلال اتصالهم بال المسلمين يبذرون بذور الشك والريبة ، ويثيرون الشكوك والشبهات في بعض تعاليم الإسلام ، والشخصيات الإسلامية والتاريخ الإسلامي ، والمسلم الذي عاش في ظلام لا يعرف شيئاً من دينه ، إلا أنه ولد في أسرة مسلمة ، ولا يجد من يعرفه بدينه ، فتبقى في ذهنه هذه الشكوك ، فإذا وجد داعياً عابراً ، لا يجد فرصة لازالة شكوكه ، وقد يكون الداعي غير مؤهل لبحث هذه القضايا ولم يفكر بعد فيها فلا يستطيع ارضاء السائل وإقناعه ، فتزداد هذه الشكوك ، لأن الذين يثيرون هذه الشكوك لهم اتصال به والذي يزيل هذه الشكوك عابر ، لا تناج فرصة الاتصال به إلا في مناسبات خاصة .

هذا الوضع للعمل الديني يشاهد في كل بلد تجده في الجماعات التبشيرية ، في أفريقيا وآسيا ، كذلك يحدث ذلك في بلدان الاتحاد السوفيتي التي خرجت من الحكم الشيوعي أخيراً ، فإن الدعوة الإسلامية فيها محدودة ، واتصال رجالها بأفراد الطبقات المختلفة اتصال موقت أو محدود ، ولا تقوم الدعوة الإسلامية على دراسة للأوضاع ومعرفة حاجات الأفراد والمجتمعات التي تجري عملها فيها . فتتسع دائرة التبشير في المناطق الإسلامية ، لأن التبشير دعوة يرافقتها مجهود

إلا بعد مضي وقت طويل ، وكانت محدودة ، وبينما كان المبشرون يواصلون أعمالهم بوسائل متوفرة لديهم ، كان المسلمين في ضيق شديد ، فلما أرادوا إعادة المساجد في مناطقهم لم يكن لديهم وسائل البناء ، فكان الناس يحملون من بيوتهم أدوات البناء ، وقدموا في ذلك تضحيات جسيمة ، وتطوعوا لهذا العمل ، ولم يكن لديهم وسائل لشراء الكتب الدينية ، حتى المصحف ، كان لا يوجد بكمية كافية ، وقد كانت هدية خادم الحرمين الشريفين في ذلك العهد ، مساعدة قيمة ، قد ملأت فراعاً كبراً ، وتقبلها مسلمو الاتحاد السوفيتي قبولاً حسناً وشكروه عليها .

كان التعليم الديني في الاتحاد السوفيتي في عهد الظلم يجرى في خفايا البيوت ، أو في الكهوف ، وفي أماكن معروفة لدى القليل من الناس من الثقات في الغابات ، تحت الأشجار الكثيفة بحيث لا يرى أحد من العيون والرقباء ، وكانت الكتب الدينية محظوظة ، فكان الزوار إلى البلدان الإسلامية يهربونها فكانت محدودة ، فلما منحت الحريات الدينية واقبل الناس على دراسة الدين ، كانوا في حاجة إلى الكتب الدينية ، لتعليم أطفالهم ، ولتعرفهم أنفسهم على الدين ، ولا يمكن أن توفر هذه الكتب في داخل البلاد ، لأن تسهيلات طبع هذه الكتب لم تكن ميسرة ، ويكلف استيرادها من الخارج نفقات ثقيلة لا يتحملها الشعب الذي لا يجد ما يكفي لشراء الخبز ، وقد تبرعت بعض الجمعيات الإسلامية بأمدادها بالكتب والمعونات المالية ولكنها كانت محدودة ومشتقة لا تشكل إلا جزءاً يسيراً مما تقدمه الكنيسة العالمية بدعم الدول الأوروبية الغربية الكبرى .

إن الفارق بين عمل النصارى ، وعمل الدعاة المسلمين في العالم ، هو أن المبشرين لا يكتفون بعرض المسيحية ، بالقاء الخطب وشرح الدين ، بل يستخدمون وسائل اجتماعية ، وإنهم يتبعون المدعوين متابعة الطبيب للمريض ، والمعلم للتلميذ ، ويتظاهر المدعو بأنه أب شفوق ، فيهتم بشكال الدعوه ، فإذا كان فقيراً يساعدته بالمال ، وإذا كان مريضاً يساعدته بالدواء ، وإذا كان جاهلاً يوفر له تسهيلات التعليم ، ويرفع مستوى

صور وأوضاع

لخامس عشر، قرن الصحوة الإسلامية، فكان القرن الخامس عشر قرن معاناة المسلمين بصفة خاصة لأنهم اكتفوا بالكلام وكان أعداء الإسلام يخططون لتدمير العالم الإسلامي وسيصبح انفكاك الاتحاد السوفيتي والحرية الدينية وهما آخر وسبباً آخر لمعاناة أخرى إذا لم يتأهب العالم الإسلامي لواجهة الوضع الجديد في آسيا الوسطى، ولم يضع خطة مدبرة ل إعادة الإسلام حقيقة إلى هذه المنطقة المضطربة.

إن الوضع يتطلب دراسة وافية للأوضاع، ووضع حلول للمشاكل التي يعاني منها المسلمون في المنطقة وفتح مكاتب للدعوة، ومؤسسات اقتصادية إسلامية للتمويل، والتعليم، والتنقيف، محلياً وفي الدول الإسلامية، دور للقضاء لحل المشاكل واجراء اتصالات مباشرة بالسكان، وبذل الجهود المركزية لتاليف قلوبهم وجمع شتاتهم وتغيير أحوالهم ليدركوا أن العودة إلى الإسلام غيرت حياتهم، وأن الإسلام يحمل سعادة حقيقة لهم وأنه حقاً منهج للحياة، وليس مجرد فلسفة، فقد جربوا فلسفة الاشتراكية ولم تسعدهم، وعاشوا أكثر من نصف قرن في تصور معجزة المطرقة والنجل، ونغمات السنابل والبساتين الخضراء ولا يزالون في حاجة إلى قطعة خبز، إنهم الآن في حاجة إلى عقيدة ومنهج حياة، وإلى الخبر والتعليم في وقت واحد.

إن الفلسفات لا تعيش طويلاً، إذا لم تحقق أهدافها، ولا ينتظر الإنسان السعادة طويلاً، فإنه كما وصف القرآن الكريم: «خلق الإنسان عجولاً».

لقد سقطت الاشتراكية لأنها فشلت في إسعاد شعبها، فليكن ذلك درسأك كل صاحب فلسفة ومذهب، وقد اتيحت للدعاة إلى الإسلام فرصة جديدة، للتجربة في هذه الأرض التي تعست كثيراً في حرب الإلحاد والكفر، وعاشت في جحيم الاشتراكية، وخسرت كثيراً، وهي في انتظار فلسفة جديدة ومنهج جديد لحل مشاكلها، حقيقة، وإذا تأخر المسلمون في انتهاز هذه الفرصة فإن هناك خطراً يهدد هذه الشعوب البائسة، سواء قاتلت حكومات استبدادية جديدة تصرف الأمور حسب رغبة قادة الدول الأوربية، أو شملتها موجة جديدة تصرفها عن الإسلام، أو وقعت هذه الشعوب في مأساة أخرى.

.....

.....

٩٥٣

شامل لحل القضايا والمشاكل للمدعو، وفيها متابعة للمدعو متابعة كاملة بل إنها تورطه في شبكتها كلّياً، إذا اتصل بها، والدعوة الإسلامية دعوة كلامية أو خطابية، ومجهود فردي، والدعاة لم يتربوا على عمل الدعوة وهم غير مزودين بوسائل الدعوة.

لقد اختار البشر في بعض المناطق في البلدان الاشتراكية التي يشكل المسلمون فيها أغلبية لكنها في حالة سيئة للغاية من الناحية الاقتصادية وزاد من معاناتهم الغلاء الفاحش كألبانيا ثلا حيث كان الإلحاد المذهب الرسمي للدولة، والمناطق التي توجد فيها صراعات قبلية ونزاعات داخلية، أو هي منقطعة عن المدن فلا توجد فيها تسهيلات للتعليم والتربية، ولا تتوفر فيها فرص العمل، فتنشط فيها الجمعيات التبشيرية مستغلة للأوضاع الرديئة.

يعتقد بعض المتحمسين للدعوة الإسلامية بعد سقوط الاتحاد السوفيatici ان الحرية الدينية تضمن العودة إلى الإسلام لأن السكان مسلمون، وقد أثارت أوروبا ضجة كبيرة، وقامت بدعاية أن تحرر هذه الدول من الاشتراكية يشكل العودة إلى الأصولية الإسلامية، وإنها ستتحالف فيما بينها وظهور كتلة إسلامية مدعمة بالقنبلة الذرية التي تهدد العالم كله، وانبعثت قوى إعداء الإسلام لتواجه هذا الوضع الخطير حتى الأقلام في بعض الصحف العربية بدأت تبدي مخاوفها وتنذر بخطورة تكتل من هذه الدول، ومن جهة أخرى ارتاح المسلمون بأنها قوة إسلامية متصاعدة، واقتصر المتحمسون للإسلام بهذه الدعاية المنبعثة من الدول الأوروبية، ولم يخطر ببالهم أن حرية الدعوة متاحة للجميع، إنها كالسوق المفتوحة يأتي رجال التجارة بأموالهم، وفات هؤلاء المتحمسين أن سكان هذه البلدان كانوا منقطعي الصلة بالإسلام إلا تلك الأسر والأفراد الذين كانت معرفتهم بالإسلام قائمة بصورة سرية، وإن الحكومات القائمة في هذه البلدان هي علمانية ويتو لها رجال نشأوا في حضن الاشتراكية والإلحاد، فإذا كان الحكم في البلدان الإسلامية غير مثقفين بالثقافة الإسلامية، وليسوا متحمسين للدعوة الإسلامية بل كثير منهم يحاربون الدعوة الإسلامية فكيف يمكن أن تتوقع ذلك من حكام هذه الدول الذين نشأوا في حضن الإلحاد وعداء الإسلام، ومصالحهم معقودة بالدول التي تعادي الإسلام وهي في حاجة إلى مساعدتهم المالية والاقتصادية والدفاعية.

لقد وقع الدعاة في أوهام كثيرة، فقد وقعوا في وهم كون القرن

التربية والمجتمع

ويطبقون بين الأصول والنظريات التي وضعت في جو خاص وبيئة خاصة أو في عصر من العصور خاص وبين الأوضاع والظروف العاصرة ، الأمر الذي يعرف صعوبته ودقته كل من مارس ذلك.

وأرى أن هذه تجربة جديدة وخطوة جريئة في شبه القارة الهندية، قامت بها دار العلوم لتحقيق ذلك الحلم الذي رآه بناءً هذه الدار ، في ضوء أهداف حركة ندوة العلماء ودعايتها ، وفي ضوء تصورات مؤسسي ندوة العلماء البعيدي النظر وخطتهم عزيزتهم الصادقة.

وقد التحق عدد من خريجي الدراسات العليا - من قسمى الشريعة واللغة العربية في دار العلوم لندوة العلماء - في هذه الدورة التربوية الخاصة بالمرحلة العليا في المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي ، وألقيت محاضرات في التعريف بالقومية والاشراكية ، والصهيونية ، والاستعمار ، والفرق الضالة من المسلمين ، وأخطارها وطرق مقاومتها.

وقد دلت التجربة على أن هذه الطريقة في التعليم وهذا المنهج الدراسي له فائدته وأهميته وضرورته ، وشعرنا بأنه كان يلزم البدء بإقامة هذا المعهد قبل ذلك بكثير ، وأنه يحتاج إلى توسيع ، وتنظيم وتنسيق أكثر.

ولا يخفى على من مارس الدعوة وقام بأداء هذه الفريضة الدينية - لا سيما في الطبقة المثقفة التي تأثرت بالفلسفات المعاصرة والحركات الإلحادية والمادية مع الاطلاع على خلفياتها العلمية الثقافية - أن مهمة الدعوة ليست سهلة يسيرة قصيرة المدى ، كما يعتقد عامة الناس ، وأن من إعجاز القرآن وبلغته أنه أوجز في بيان تلك الضوابط والأصول الشاملة لواجبات الداعي وأساليب الدعوة التي لا تتغير في أي عصر أو مصر ولا تحتاج لاختلاف العصر والمكان إلى أي تعديل أو حذف أو زيادة : قال تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » :

١ - الحكمة .

٢ - الموعظة الحسنة .

٣ - المجادلة بالتي هي أحسن .

هذه هي العناوين الثلاثة العريضة التي تدرج تحتها البحوث المتعلقة بعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم الجدل ، التي تتجدد عن الإفراط والتفريط والمغالاة والبالغة والتدقيقات اللغوية والتشقيقات الفنية ، وتبنت على الفهم الصحيح

قراءة في كتاب :

التربية والمجتمع

صدر هذا الكتاب مؤخراً بقلم فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوبي ، قام بنشرها فضيلة الأستاذ محمد علي دولة من دار القلم بدمشق ، وهو يبحث في طبيعة المجتمع وحاجته إلى التربية الصحيحة البناءة على أساس سليمة متينة .

يتحلى الكتاب بتقديم ساحة العلامة الشيخ أبي الحسن على الحسني الندوبي الذي استعرض الموضوع بغاية من الدقة وال موضوعية . فأحدربنا أن نتحف القراء الكرام بكلمة القيبة لتكون تعريفاً بالكتاب وتنويراً لجوائب [التحرير] الموضوع

الحمد لله وحده والصلوة والسلام على من لا نبي بعده .

أما بعد ، فإنه منذ عدة سنوات أقيمت في دار العلوم التابعة لندوة العلماء دوره تربوية للمتزوجين ووضعت لها مقررات دراسية وذلك لمدة سنة واحدة وتحت إشراف المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي ، بغية تخريج الدعاة والعلميين الذين يتربون تربية علمية ودعوية ، ليقوموا بعد تخرجهم بعمل الدعوة على بصيرة ويتمنوا أثناء دراستهم على طرق الخطابة وأساليب الكتابة ، وعرض الدعوة وتفهيم الدين بأسلوب حكيم يفي بمتطلبات هذا العصر ، وقد استفيد في وضع هذه المقررات وفي منهجها الدراسي من الكتب والمصادر التي تلقي الأضواء الكاشفة على أساليب الدعوة وأوضاع المسلمين في العالم الإسلامي وغيره ، والمجتمع المسلم والعلقىات المختلفة لطبقات المسلمين ومشاكلهم وقضاياهم ، والصراع العقلي والفكري الذي يعيشونه ، والفوبي الخلقية والأخطار التي تواجهه مستقبل هذه الأمة الإسلامية ، ويقوم بتدريس هذه المواد العلمية والدعوية أساتذة موجهون بخطبهم ومحاضراتهم ، ويعرفون الطلاب بمصادر الموضوعات المتعلقة بالمنهج ، وفضلاء لهم تجارب ميدانية في مجال الدعوة الإسلامية وشرح الفكرة الإسلامية .

للدين، وعمرنة النفسية والعقلية البشرية، والمجتمع والبيئة، وتوافق العقول
الراجحة السليمة.

ولذلك فإنه يجب على الداعي التعرف على نفسية الحياة الفردية والجماعية
وخصائصها أكثر من معرفته بفن البلاغة وكثير من محتويات الكتب القديمة في فن
البلاغة والمعانى والبيان والفلسفة والمنطق وعلم الجدل، التي صرفت إليها الهمة.
وبذلت فيها كثير من الطاقات العلمية والعقلية في العصور القديمة، والتي فقدت
قيمتها وفائتها العلمية في عصرنا هذا، بل قد يكون ضررها أكبر من نفعها
وتتصبح حجابةً كثيفاً بين الطالب وفهم حقيقة الموضوع ولبابه، وال الحاجة إلى فهم
نفسية الحياة الاجتماعية وخصائصها اليوم وعمل الدعوة والتربية في ضوئها
أكبر وأشد من الحاجة إلى غيرها.

وقد ظهرت في هذا الموضوع، في نصف قرن من الزمان، مكتبة زاخرة، وألف
عدد من الأساتذة العرب الإسلاميين الفضلاء في البلدان العربية، وفي الجامعات
العربية كتاباً قيمة في موضوعات طرق التعليم والتدريس، ودراسة نفسية الفرد
والجماعة، وعلم النفس وعلم الاجتماع وأساليب الدعوة إلى الله، كما صدرت في
بلادنا أيضاً كتاباً قيمة بأقلام الكتاب الإسلاميين الفضلاء من المتخصصين في
هذه المواضيع العلمية وحملة الفكر الإسلامي الصحيح.

وكانت الحاجة ماسة إلى أن يقوم أستاذ فاضل - لم يختلف عن ركب العلم
والفكر والتأليف والبحث السبارك - بدراسة هذه الكتب واستعراضها ويقدم
خلاصتها والأجزاء المهمة الضرورية منها التي توافق حاجة خريجي مدارسنا
وجامعتنا الإسلامية والشباب الذين يعملون في مجال الدعوة وظروفهم
ومستوياتهم في أسلوب شيق واضح، ويركز بصفة خاصة على ثلاثة جوانب تتسم
بالقيمة العملية التطبيقية، والتي لا يستطيع أي داعية أن يعمل بدونها في الطبقة
المثقفة الذكية المعاصرة، ويقوم بدوره بطريقة حسنة ويكسب نجاحاً كبيراً:
١- طبيعة الحياة الاجتماعية ونفسيتها.

٢- طرق التدريس ودراسة النظريات التعليمية.
٣- دراسة طرق الدعوة وأساليب الدعاية والإعلام وتأثيراتها.

للغة العربية وآدابها بدار العلوم لندوة العلماء - الذي أسندت إليه هذه المهمة - قام
بها خير قيام، وعرض هذا الموضوع بإحسان وإجاده وإتقان، فقد ألقى في هذا

التربية والمجتمع

الموضوع ٢٨ محاضرة - وهي بين أيدي القراء - استكملاً بها أطراف الموضوع إلى
حد كبير، وقد استفاد المؤلف في إعداد هذه المحاضرات والدروس من المصادر
العربية والإنجليزية والأردية الحديثة استفادةً تامة، وأوجز وأطرب حسب
الحاجة الداعية إليه، فجاء كل ذلك في كتاب لا يلبي الحاجة الطارئة المؤقتة بفترة
الدوس الرسمى فحسب، بل أصبح جديراً لأن يستفاد به في تدريس هذه المادة، وقد
استعان المؤلف في إعداد هذا الكتاب بدراساته الأدبية الواسعة ورحلاته الطويلة
في بلدان العالم الإسلامي وبلدان الغرب أيضاً، ومساهمته الفعالة في الندوات،
واتصالاته القرية بالطبقة المثقفة المعاصرة، وتعارفه عن كثب على مسائلها
ومشاكلها وأوضاعها، فضلاً عن تذوقه للموضوع، وجده الجاد الصابر فيه.

ولا يجد القارئ في هذا الكتاب بحوثاً علمية رتيبة جافة بل يجده في الحديث
الشيق الممتع عن تأثير القرآن الأدبي المعجز، وقدوة الرسول ﷺ وأسوة المباركة،
وتأثيرات الأدلة، وشرح طبيعة الأدب السافل ونقده، وتأثير الصحافة ووسائل
الإعلام المختلفة النفسية والخلقية، وطرق الاستفادة من الوسائل السمعية
والبصرية، وإسهام المكتبات في التربية العقلية والعملية، وتأثير المجتمعات
السكنية ودور الإقامة للطلاب عليهم سلباً وإيجاباً، ويجد فيها القارئ بعض
الجوانب الجديدة التي لا يجدها في المصادر العربية أو الأردية أو غيرها في هذا
الموضوع، مثل الرحلات وحركة الإمام محمد إلياس الدعوية وأسلوبها في تنظيم
الرحلات الدعوية، وأوضاع الأسر الغربية العائشة تحت ظل المدينة الغربية،
وتأثير فصل الدين عن الأخلاق، وأهمية المساجد... الخ.

وهكذا لم يعد هذا الكتاب كتاباً منهج دراسي جاف، بل أصبح كتاباً علم ودعوة
وفن جديراً بأن يقرأه ويتمنه العنيون بشؤون الدعوة، المهتمون بقضايا
مستقبل النشء الجديد، والجيل المثقف المعاصر، وكل من يشعر بأهمية إصلاح
المجتمع المسلم.

والله أسأل أن ينفع به قارئه، ويقبله من المؤلف تقبلاً حسناً، وقد كان
الكتاب في أصله باللغة الأردية ثم نقله بعض مدرسي ندوة العلماء إلى اللغة العربية،
واطلع المؤلف على الصورة العربية وقام فيها ببعض التحسينات.

والحمد لله رب العالمين

إلى رحمة الله :

محدث الهند الكبير العلامة

حبيب الرحمن الأعظمي في ذمة الله

فقدت الأوساط العلمية والدينية في الهند وخارجها محدث الهند الكبير العلامة الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي . وذلك في ليلة الثلاثاء ١١ / من شهر رمضان ١٤١٢ هـ الموافق ١٧ / مارس ١٩٩٢ م ، بوطنه متوا ، بولاية اترابراديش (الهند) عن عمر يناهز / سنة فان الله وإنما إليه راجعون .

يعتبر العلامة الأعظمي من كبار علماء الحديث وفن الرجال في العالم كله ، فقد عاش منذ نعومة أظفاره في الاشتغال بهذا الجانب العلي الشرف ، والعكوف على خدمة السنة الشريفة تحقيقاً وتخريراً وتدريساً وتاليفاً . فله من الآثار العلمية والتحقيقية ما تجمل به الكتبة الإسلامية على سمعتها وغزارتها . فهو أستاذ أجيال عديدة من علماء الحديث ومربي أفواج وطوائف من الحدثين النابغين في هذه البلاد ، وقد أصبح في الأخير مرجعاً كبيراً لاصحاب الدراسة والتحقيق في كل مكان . كانوا يردون على شرعة عليه وينهلون منه العذر الصافي ما يحتاجون إليه . أما عدد تلاميذه فقد لا يأتى عليه الحصر .

شغل منصب المحدث والمربي في جامعة مفتاح العلوم إلى مدة طويلة وأخيراً أسس المعهد العالي للدراسات الإسلامية لراحتل الاختصاص في الحديث والفقه ، ومدرسة مرقدة العلوم للمراحل المتوسطة والثانوية والعلائية . وقد منحته الحكومة الهندية جائزة رئيس الجمهورية اعترافاً بخدماته العلمية باللغة العربية . كما انه انتخب عضواً مجلس الشيوخ لولاية اترابراديش في عام ١٩٥٢ م لمدة خمس سنوات . وهذا جمع بين الغزارة العلمية والخدمات الاجتماعية . وقدم مثالاً لعالم ديني جامع . كان يشرف على كثير من الدارس والجامعات والراكز الإسلامية . ويتمنى باحترام الأوساط العلمية والدينية كلها على السواء .

وقد صلى عليه تلميذه النجيب البارع فضيلة الشيخ عبد الجبار الأعظمي مع حشد حزينًا غشيت فيه على الناس سحابة من الحزن والأسف .
رحمه الله رحمة واسعة وأمطر عليه شأبيب رحمته واسكته فسيح جناته . وألهم أله وتلاميذه وذويه الصبر والسلوان .
يا أيتها النفس الطمنة ارجعني إلى ربك راضية مرضية فادخلني في عبادي .

و سنفرد مقالاً مستقلاً عن شخصيته في عدد قادم باذن الله تعالى .

استدراكات

تصويمات بعث بها فضيلة الشيخ محمد برهان الدين السنبللي عن مقاله الذي نشر في العددان الأول و الثاني بعنوان : « حكم أوقات الصلاة و الصيام في المناطق غير المعتدلة » .

١ - في العدد الأول :

ص ٤٧ س ١٨-١٦ (الهمش) المطبوع : « و قد ذكر العلامة . . .

إلى . . . شرح صحيح مسلم قال ، اقرؤا : و قال العلامة الحق ابن الهمام في « فتح القدير » (ص ١٥٥ ج ١) ولا صحة لصلاة قبل الوقت ، و الإمام النووي قد ذكر الاجماع على عدم جواز الصلاة قبل وقتها في شرح صحيح مسلم فقال :

٢ - و في العدد الثاني :

ص ٦٣ س ٨ المطبوع : سدهه وقت المغرب و بقيته وقت العشاء اقرؤا : سدهه الأول وقت صلاة المغرب و سدهه الآخر وقت صلاة الفجر و البقية وقت صلاة العشاء .

٣ - أيضاً : ص ٦٥ س ٧-٩ المطبوع : فكان هذا الزمان . . .

إلى . . . والثاني للفجر ، اقرؤا : فكان هذا الزمان يصير وقتاً للصلاتين - المغرب والعشاء - فيمكن أن يخصص نصفه الأول (أي نصف وقت ما دام ضوء الشفق في جهة الغروب) للغرب ، و الثاني للعشاء .

٤ - أيضاً : ص ٧١ س ١٥ المطبوع : و القول الأول و كما ما ذكر بعده [المذكوران في فتاواه] اقرؤا : و القول الأول المنقول عن « الطحطاوى » و كما ما هو المذكور في فتاوى الفقيه التهامى التي نقلناها في الهمش .